

العمارة

و تطور البيت الريفي

تأليف

غالب المير غالب

إهداء

إلى ولدي مصطفى ..

الإنسان بعقله و عمله ...

و أنت تكمل مسيرة حياتك من جديد .. عادت ضحكك

للحارة و للبيت ، ستبقى واقفاً على أجساد من ظلمك ..

ورغم كل ما عانيته في غربتك.. من قسوة و جبروت...

ستظل ضحكك هي الأقوى ...

المقدمة:

في اللحظة التي نزل فيها الإنسان القديم من مغارته و كهفه إلى السهول الخصبة ، و إلى جانب البحيرات و الأنهر لكي يقيم و يؤسس على تلك الأرض مكاناً يعيش عليه ، في تلك اللحظة بدأ التغيير في حياته تغيراً جذرياً ، و لحظتها صنع بيديه أول عمارة ، هذه العمارة التي استمرت حتى اليوم و سوف تستمر طالما هناك إنسان واحد على وجه البسيطة ، و كان قبل هذه اللحظة يقيم في المغاور و الكهوف المغلقة إلا من فتحة صغيرة أحياناً أو فتحتين، و هذه الكهوف و المغاور من صنع الطبيعة ، و فيها مارس تلك الحياة المظلمة ليلاً نهاراً ، و فيها اكتشف النار ليرى ما في كهفه و ليطهي طعامه ، و في هذه الكهوف تتاسل و كثرت عائلته ، و تعود على أول مراحل الحياة الاجتماعية ، و ما نزوله إلى السهول إلا لحاجة أحسها بأن الكهوف و المغاور لم تعد تفي بحاجاته اليومية ، و على السهول بدأ بصنع بيت له على شاكلة الكهف ، مما وجد حوله من مواد أولية مثل أغصان الأشجار و القصب ، و من هنا بدأت ولادة ما صار يعرف بالعمارة ، و حبت تلك العمارة كما يحبو الطفل الرضيع ثم كبرت و نمت و بنت حضارات كثيرة و سارت في خطواتها حتى وصلت إلى ما نراه اليوم من إبداعات معمارية تثير العجب و التساؤل عن قدرة العقل الإنساني و حدود تلك القدرة و إمكاناتها غير المحدودة في صنع عمارة تليق بهذا العقل .

من الطبيعي أن تكون مغادرة الكهوف إلى الهواء الطلق قد تمت بالتدريج، و لم تتم دفعة واحدة ، و الإنسان القديم خائف من المجهول و المعروف و ما قد يلاقه في ليله و نهاره من مفاجآت يومية (الإنسان الآخر ، الحيوان ، غضب الطبيعة ...) ، و كان هذا من الدوافع الأساسية إلى البحث عن إقامة مسكن جديد يحميه من كل ما ذكرنا ، و يشعر و هو داخل مسكنه بالأمن و الطمأنينة و حرية الحركة ، و أول التجمعات السكنية التي وصلت إلينا أخبارها من خلال المكتشفات الأثرية هي التي تنتمي إلى الحضارة النطوفية (١٠٠٠٠ . ٨٣٠٠) ق.م ، و هذه التجمعات البشرية تشكلت على ضفاف الأنهر و البحيرات ، لكي تكون قريبة من مناطق الصيد البري و النهري ، ثم تطورت هذه الأسباب إلى آفاق أخرى أهمها الزراعة ، حيث اتجهت الخطوات الأولى نحو الزراعة بحثاً عن الطعام في الخضروات و الفواكه بالإضافة إلى لحوم الصيد المطهية و التي صارت المصدر الأول للتغذية عند الإنسان القديم و استمرت في هذه المكانة حتى اليوم ، و لا شك بأن الماء و الزراعة هما العنصران الأساسيان في تشكيل أية حضارة كانت و استمرارها .

و من المعلوم أن العمارة القديمة تشكلت أول ما تشكلت داخل الكهوف ، و إذا اعتبرنا الصور الجدارية لإنسان الكهوف من عناصر العمارة بالإضافة للنحت النافر و الغائر ، و لكن هذه التشكيلات ليست من جوهر العمارة بل هي تجارب بدائية لها أهميتها كراوية لتاريخ إنسان الكهوف و تفكيره و مشاهداته اليومية التي سجلها كصور و نحت على

جدران و أسقف الكهوف ، و أما العمارة الحقيقية فهي التي تأسست خارج الكهف ، و من المستحيل فرز جوهر العمارة عن باقي تشكيلاتها لا في القديم (فترة الكهف) و لا اليوم ، لأن كل محتويات العمارة اندمجت في بوتقة واحدة اندماجاً قوياً شكل مجموعة واحدة ذات خصائص فنية و ثقافية واحدة دعيت فيما بعد بالعمارة .

إن معظم المكتشفات الأثرية التي تمت في سورية قد أثبتت أن العمارة أول ما ولدت و ترعرعت فوق أرض سورية ومن ثم انتشرت إلى المناطق المجاورة لها ، و تركزت لفترة طويلة في المنطقة التي تمتد من الرافدين إلى ساحل البحر الأبيض المتوسط ، هذه المنطقة التي أعطت العالم حضارات متنوعة و مختلفة ، و وهبت بالإضافة إلى هذا ثقافات معمارية إنسانية أصيلة ، لا يستطيع أي مهندس معماري حديث أن يتخطاها ، و لهذا يمكننا القول و نحن على ثقة كبيرة أن أرضنا السورية كانت رחماً ثقافياً و فكرياً و معمارياً للعالم أجمع ، و كما قلنا أن التنقيبات الأثرية الحديثة في سورية أكدت وجود آثار معمارية هامة تعود لحضارات الألفين الثالث و الثاني قبل الميلاد ، و ترجع أصول هذه العمارة إلى السوريين القدماء ، الذين شيدوا المباني السكنية منها و المعابد و القلاع في كثير من المواقع (ماري ، أوغاريت، تل حلف ، و عين دارا و غيرها...) و لقد تركت هذه المواقع إرثاً معمارياً و حضارياً و منبعاً للفنون التي ظهرت فيما بعد مثل الفن (الهلنستي ، و الساساني ، و الروماني ، و البيزنطي) و البيزنطيين كانوا حلقة وصل بين العمارة السورية القديمة و

العمارة الإسلامية ، و لذا نؤكد بعد كل هذا أن الأصول الأساسية للعمارة الإسلامية نابعة من أرضنا السورية ، ثم مزجت بروح العقيدة الجديدة ، فكانت كما هو معروف من أرقى و أفضل أنواع العمارة القديمة التي يمكن الاستفادة من أهم عناصرها في عمارة اليوم .

و تروي الحضارات المختلفة التي نشأت على الأرض السورية عن نفسها أكثر ما تروي من خلال عمارتها التي خلفتها وراءها ، و بقيت آثارها الدالة عليها ، و من الخطأ الظن إن العناية بالعمارة القديمة و آثارها هو جهد ضائع ، و دراسة تلك العمارة أمر لا نفع فيه اعتقاداً من الظان أن هذه العمارة هي على هامش الحياة و ليست في صميمها ، و الحقيقة غير ذلك ، إذ أن هذه العمارة قيمة جداً ، و يكفي أن نعلم مكانة الفكر و الإنسانية التي يتمتع بها من قام ببناء تلك الصروح المعمارية في فترات تاريخية مختلفة و متباعدة ، و علينا أن ننحني باحترام شديد لأولئك المهندسين العباقرة الذين أوصلوا لنا ثقافة و فكر تلك الحضارات القديمة بواسطة أبنية معمارية تحاكي التاريخ و توصل الحاضر بالماضي البائد بواسطة أعمال معمارية لها قيمة تاريخية و فكرية كبيرة ، و لذا علينا التسليم بأن العمارة القديمة هي الأرضية الحقيقية و السبيل و الطريق الذي أوصلنا للعمارة الحديثة ، و ما العمارة الحديثة إلا تراكم للثقافة المعمارية التي عرفت منذ وجود الإنسان على الأرض و حتى اليوم ، تختلف باختلاف المناطق و الزمن ، و لكن الجوهر ثابت لا يتغير و لا يتبدل بل هو ينمو نحو المعرفة و القدرة على العطاء المميز ، و العمارة القديمة

قامت على أسس هندسية دقيقة تناولت عناصرها بدراسات صحيحة و متناسبة مع بعضها البعض كالفتحات و ارتفاع الأسقف ، و أبعاد التكوينات المعمارية .

و عندما نكتب عن العمارة القديمة بالطبع يكون قصدنا و ما نعنيه هو العمارة السورية و أطرافها ، هذه العمارة التي عبرت عن النشاط العقلي للإنسان السوري ، إنسان الحضارة و المعرفة و التطور الفني ، الإنسان العلمي المتطلع إلى البناء و العمار لكل بنية دقيقة من تفاصيل شخصيته و حقيقتها المعرفية ، و لتكون أعماله قدوة و مثلاً يؤخذ به لما في هذه الأعمال من دروس خاصة من الصعب تواجدها عند غيره .

إن الروابط العضوية القائمة بين العراق و سورية لا يمكن فصلها ، وعلى مر التاريخ كانا و لا يزالان يعتبران أرضاً واحدة عاشت عليها شعوب متنوعة و مختلفة و بأزمنة متعددة ، و رغم هذا التنوع إلا أن الجذور لمعظم الشعوب التي بنت حضاراتها على هذه الأرض هي واحدة ، قد تختلف في بعض المراحل ، و لكنها تتطابق في أغلبها ، و على هذه الأرض الفريدة بنتاجها ظهر الإنسان (و كما تثبت الاكتشافات الأثرية) منذ أكثر من مليون عام ، و من باطن هذه الأرض تفجرت ينابيع الحضارات الإنسانية منذ الألف الرابع قبل الميلاد ،حيث كان العالم حولها خالٍ من أي أثر لمعارف متماثلة معها،بل لقد امتد "العصر الحجري" في بقاع العالم ، و في أوروبا إلى عهود متأخرة جداً ، بينما كانت العمارة السورية الحقيقية قد تبلورت عندنا سابقة أوروبا بآلاف السنين ، وهي التي

أعطت علومها للعالم المتحضر ينهل من معارفها الشيء الكثير رغم تطور الحضارة العالمية اليوم بهذا الشكل السريع ، و نعود للقول إن الفصل المعماري بين المناطق السورية و بين الرافدين مستحيل لأن الموقع الجغرافي واحد و امتداد الحضارات دائماً كان يطال المنطقتين ، و رفعة إحدى المنطقتين هي رفعة و ازدهار المنطقة الثانية ، و كم نقلت أوروبا عن الفن الرافدي و السوري الكثير من العناصر المعمارية و التي أصبحت مع مرور السنين عناصر أساسية في الفن المعماري الأوروبي (كالعقود ، و القناطر ، و القباب ، و الأقواس التي استخدمت في الأبواب و الشبابيك ..) .

في هذه الدراسة المتواضعة عن العمارة و أثرها في تطور البناء السكني في الريف (سلمية مثلاً) ، و تم اختيار منطقة " سلمية " مثلاً باعتبارها تحتوي على عمارة (كانت و ما تزال) متطابقة مع أية عمارة ريفية في سورية ، و منذ البداية كانت القباب الطينية و لا تزال موجودة في كثير من قرى سلمية ، و بالإضافة لموقع سلمية الجغرافي ، حيث هي واقعة في المنطقة الوسطى من سورية ، و هي على حدود البادية من جهة الغرب ، و على ضفاف السهول الداخلية الشرقية ، إذاً هي تقع بين السهول الوسطى و البادية من جهة و على أطراف محافظة حلب الجنوبية ، و حدود محافظة حمص الشمالية ، و لأن منطقة سلمية تعتبر أكبر منطقة في سورية و لهذا كان تنوعها المعماري له التأثير الكبير في تشكيل عمارة غنية بالمنتج المعماري الريفي السوري .

إذا كانت التقاليد و العادات صفة تتميز بها الشعوب عن بعضها ، و لكل شعب تقاليده و عاداته و أعرافه ، و من الطبيعي أن تجد ضمن الشعب الواحد بعض الفروق و الاختلافات في العادات و التقاليد ، رغم وجود الروابط و العقائد الواحدة ، ربما مرجع هذا لمقدار الاحتكاك مع الشعوب المغايرة ، و في الريف السوري العادات و التقاليد أغلبها واحد و ما هو مختلف يحددها كما ذكرنا الاحتكاك مع شعوب مختلفة ، و لا شك بأن عادات أهل المدن و تقاليدها قد اختلفت عما هو موجود في الريف نتيجة تطور الحياة الحديثة ، و دخول حاجيات و خروج أخرى جديدة على المجتمع في المدينة ، غير أن الخطوط الأساسية هي واحدة.

نذكر بما سبق حتى تكون الصورة المعمارية لفن الريفي واضحة أمام أعيننا ، فالعمارة في سلمية تنوعت في أشكالها ، و قد حاولت أن تأخذ من عمارة المدينة ، و لكن الظروف المالية لأهل الريف كانت حاجزاً كبيراً أمام زخرفة العمارة الريفية و إدخال المواد ذات الكلفة المادية الكبيرة ، تلك المواد التي تعطي العمارة صور فنية جميلة و راقية ، و لهذا كانت عمارة سلمية بسيطة ، و هدفها الأول تلبية الحاجات الضرورية لسكان البيت ، و محاولة توفير الراحة له ، و اعتبار البيت وسيلة ضرورية لإتمام مشوار الحياة المتعب و المرهق منذ الصباح و حتى أوائل الليل .

أول ما عرفت العمارة في سلمية الحديثة حين بدأت كتجمع سكاني بسيط ، ثم نما و تطور بسرعة كبيرة نتيجة قوة و صلابة و عزم الإنسان فيها ، فقد واجه الأخطار و تغلب عليها بشجاعة و بقدرته على التعامل مع

المتغيرات الجديدة التي حدثت له ، كان لتعاون السكان و تألفهم و محبتهم لبعضهم بعض و توضيحتهم هو سر قوتهم و إيمانهم بضرورة أعمار مدينتهم مدينة الأجداد التي دمرت لأكثر من مرة نتيجة عوامل و ظروف تاريخية لا سبيل لنا للمرور عليها ، لأن غيرنا ممن كتبوا قد أوفوا بما فعلوا ، و مع تطور هذا التجمع السكني و قدوم العديد من العائلات و الأسر إلى منطقة سلمية ، و بخاصة بعد استقرار الوضع الأمني فيها ، و نتيجة لذلك تحولت سلمية إلى قرية صغيرة ، بدأ يظهر ضمن حدودها بعض من السكان الذين يعملون في مهن مختلفة لا تعتمد على الصيد و الزراعة فقط ، و أصبحت منذ ذلك التاريخ مجتمعاً وليداً سوف يكبر و ينمو ليصير قرية كبيرة ثم بلدة ، ثم ينتهي إلى مدينة كبيرة تضج بالصخب ليلاً نهاراً ، صيفاً و شتاءً ، و شوارعها لا تخلو من الناس طيلة اليوم ، و متى مررت فيها تجد محلات فيها مفتوحة أبوابها لاستقبال الزبائن ، سلمية اليوم عالم آخر يختلف عما كان عليه قبل خمسين عاماً حين كانت تنام مع الشمس و تصحو معها ، و على أصوات الطيور تتحدد الأوقات ، من وقت النوم، إلى وقت الذهاب إلى العمل ، و حرارة صيفها لا يبردها الغبار و لكن عيون الأطفال هي من تتعامل مع العجاج ، و هي التي تتورم و تغلق بانتظار البوريك لعله يزيل آلام الصيف ، أما ليالي صيف سلمية فهي قصة أخرى ، حركت أحاسيس كثير من الشعراء الذين أخرجوا من عقولهم المبدعة قصائد تروي للأجيال القادمة روعة نسيمات هواء ليالي صيف سلمية .

إن تطور العمارة في منطقة سلمية يطابق تطور العمارة في الريف السوري كله ، و من الطبيعي أن يرفق هذا التطور طفرات معمارية مستواها أقل من عادي و هذا المستوى لا يرقى لمستوى العمارة و تطورها نحو الأفضل ، و هذا نتيجة أسباب اجتماعية و اقتصادية و سوء فهم للعمارة في المدن و المرتكزات التي قامت عليها ، و نرى هذه الطفرات في بعض القرى التابعة لسلمية ، و أحياناً نراها داخل سلمية ، حين نرى مبنى مقام فيه عناصر غير متناسقة و لا متكاملة مع بعضها ضمن أشكال هندسية أسوء فهمها فوضعت في مناطق داخل المبنى أو على واجهاته ، فنراها قد شوهت عمارة المبنى ، و ظهرت فيه عناصر في غير موضعها ، و النسب المعمارية فيه غير متوافقة .

إن تأثير العمارة الريفية القديمة بالفلكلور الشعبي و الفنون القروية بارز و ظاهر في كل وحدة معمارية قائمة ، و رغم أن مستوى العمارة الريفية متأخر فنياً عن عمارة المدينة ، و خاصة عمارة البيوت في المدن السورية في الفترة ما بين ١٨٠٠ . ١٩٤٠ م أيام ازدهار عمارة البيوت في المدن السورية و انسجام الزخرفة و تقنياتها العالية مع عمارتها (من حيث توزيع الوحدات السكنية و استخدام مواد البناء) حيث بدت تلك الزخارف و ألوانها كأنها لوحات فنية لكبار الفنانين ، يقف المرء أمام هذه الزخارف بإجلال و احترام ، و برغم ذلك فالعمارة الريفية لا تخلو من بساطة في التوزيع ، و تواضع جمالي مميز يعكس حياة الريف و طبيعتها القاسية كما يعطي صورة واضحة عن العلاقات الاجتماعية في الريف و رقيها ،

و نتيجة لحتمية التطور التدريجي في الريف تمر العمارة الريفية بأدوار مختلفة فيها من التهذيب الفني الشيء الكثير ، و خاصة كلما أتاحت الفرصة للريف بأن يجتاز الأوقات الزمنية بهدوء و انتعاش ، هذه الفرصة قد تتيحها الطبيعة لأبناء الريف حينما تعطيه المواسم الجيدة و الإنتاج الخير الوفير ، و الذي يساعد ابن الريف على العيش في بحبوحة تجعله يلتفت إلى إقامة عمارة سكنية جيدة ، و مناسبة له و لعائلته ، و الموارد المادية الكافية تشجعه على تطوير بيته و عمارته و ما حوله ، و استخدام المواد الأولية الجيدة و المناسبة لتقديم عمارة متينة و جميلة و دائمة .

و نعود للقول : إن الهدف من هذه الدراسة هو توثيق تطوير العمارة الريفية من خلال المراحل المتنوعة و المتعددة التي مرت فيها، و إن كانت أغلب هذه المراحل متداخلة مع بعضها لدرجة يصعب فرزها و تصنيفها و أحياناً نرى المرحلة الأولى إلى جانب المرحلة الخامسة .

إن تقديم الصور و المخططات الهندسية هي دلائل حقيقية على ما حدث و ما كان و ما صار إليه الحال ، كما أن المخططات المعمارية و الصور تعتبر وثائق معمارية بالغة الأهمية ، و من الطبيعي أن تعمل تلك الصور و المخططات كوسائل توضيحية للقراء ، و أدوات تعريف لمشاهد قد نمر من أمامها كل يوم دون أن تثير اهتمامنا ، أو تشدنا للوقوف أمامها في محاولة لقراءة ما تتضمنه أحجارها من تاريخ و حوادث جرت ، و لهذا عمدنا في دراستنا هذه إلى الاعتماد على الصور التوضيحية و المخططات المعمارية حتى يستفيد منها الإنسان العادي و يستطيع من

خلالها متابعة فصول هذه الدراسة ، و هو يعرف بدقة ماذا هو يقرأ ، و حتى لا تضيق عليه مجريات التطور المعماري للبيت السكني في الريف ، حاولنا توثيق كل فقرة و كل رأي ، و كل وصف معماري لمبنى أو أكثر .

و قد حاولنا في هذه الدراسة التعريف بالعمارة و ماهيتها و عناصرها الأساسية ، و استعرضنا بعضاً من مراحل تطورها منذ أن كانت عمارة بسيطة موزعة على الأماكن الرئيسية (المدن ، المراكز الدفاعية، حول الأنهار و البحيرات ..الخ) ، مع الإضاءة على فترات مهمة في تاريخ العمارة ، و بخاصة ما هو متعلق بالعمارة السورية ، و أثر تلك العمارة في الحضارة الأوروبية ، و كذلك التطلع إلى العمارة الإسلامية و دورها في إغناء العمارة العالمية بعناصر و تشكيلات جديدة ، أو متطورة عن عناصر كانت بسيطة و غير مستخدمة إلا فيما ندر ، ثم عمدنا إلى تسليط الضوء على قليل من صناعات العمارة ، و بخاصة العرب منهم ، و تقديم أهم ما ابتدعته عقولهم الثرية بالمعرفة و الإبداع ، و من الطبيعي أن نتعرف إلى المهندس المعماري ، و إلى مهنته و مهمته الإنسانية في تكوين عمارة تليق بالعقل البشري و تطوره على مدى التاريخ ، و رأينا أن نقوم بمقارنة بسيطة بين عمارة الريف في سورية ، و العمارة السكنية في المدن التي أنشئت خلال القرنين الماضيين ، أي خلال الفترة التي وجدت فيها سلمية الحديثة ، هي مقارنة عامة فقط و لم ندخل إلى التفاصيل الصغيرة لعلنا بأن الفرق بين العمارة في الريف و العمارة في المدينة كبير ، و هذا نابع من أسباب عديدة حاولنا ذكر أهمها ، ثم بينا الهدف و

الغاية من هذه الدراسة ، و هو محاولة توثيق مراحل تطور العمارة السكنية في الريف ، نظراً لأن الكثير من المراحل قد طويت و اختفت تحت العماائر الحديثة و المصنوعة من البيوتون المسلح ، و لم يبق أي أثر لها ، و خوفاً أن يمتد هذا الطوفان (بناء البيوتون مكان البيوت القديمة) إلى البقية الباقية من البيوت ، اتجهنا إلى إنجاز هذه الدراسة و نحن على يقين تام بأنه بعد عدة سنوات قليلة لن نرى من بيوت الماضي القريب و البعيد سوى بعض الصور و روايات كبار السن ، و قد حاولنا التركيز على المواد المستخدمة في البناء و إمكانية استخدام هذه المواد في عمارتنا الحديثة ، لما لها من فوائد كبيرة قد لا تتمكن عمارة البيوتون من تأمينها بسهولة ، و في الختام حاولنا لفت الأنظار إلى العمارة الريفية و ضرورة الاهتمام بما تبقى منها ، و تشجيع إعادة استخدامها باعتبارها صديقة البيئة و الإنسان و لتكون هي عمارة المستقبل ليس لمنطقة سلمية وحدها بل لكل المناطق الريفية .

و نحن نقدم جزيل الشكر و العرفان لكل من ساهم معنا ، و قدم لنا العون في سبيل إتمام هذه الدراسة و إخراجها إلى النور ، و نخص بالذكر كل من الأستاذ/ علي أمين ، و السيدة / نجوى إسماعيل ، كما نأمل من هذه الدراسة أن تحقق الهدف من وراء كتابتها بأن تكون وثيقة تراثية صادقة و حقيقية عن تطور عمارة البيت السكني في منطقة سلمية ، يستفاد منها كل دارس للعمارة ، و كل باحث عن تاريخ هذه المدينة و تراثها ، و كل مهتم بالحياة الريفية و عمارتها

غالب المير غالب

سلمية في / ٢٠ / ٦ / ٢٠٠٩ م

هندسة العمارة:

-تعريف العمارة:

العمارة " بكسر العين" في اللغة العربية هي تشييد البناء ، و هي مشتقة من (عَمَرَ) بفتح العين و الميم ، و فن العمارة هو بناء الأبنية و تزيينها ضمن أصول و قواعد معينة و معروفة و متفق عليها .

و العمارة هي نتاج ما يخرج الإنسان من عالم الخيال إلى عالم الحس ليبعث في النفس الإعجاب ، و العمارة أهم فروع الفن ، بل هي الإطار الذي يجمع أغلب الفنون المعروفة ، و المعمار يعد الفكرة الفنية و ينفذها ليحقق ما أبدعه خياله و ما تأثر به فيقوم بابتكار أنماط و أساليب

في الحركة المعمارية فيعطي بناءً رائعاً (إن كان من الحجر أو الخشب أو بوجودهما سوياً) بكل ما فيه من تفاصيل كوحداث معمارية واضحة ، و العلاقة بين هذه الوحدات ، ثم وجود النقوش على جدران المبنى و زخرفتها بأشكال هندسية تبهج النفس و تشرح الصدر و تثير الشعور بالجمال و الروعة ، فينال المبنى التقدير و الاستحسان و الإعجاب من المختصين ، و من المهم جداً رؤية العمارة بمنظور جدي ، و ذلك لأن الحياة يمكن أن نحياها بدون عمارة و لكن لا نستطيع أن نتذكرها بدون عمارة ، أي أن البعد التاريخي في العمل المعماري هو الذي يمثل خصائص العمارة السابقة ، و التاريخ بدون إنجازات معمارية هو تاريخ غير كامل لافتقاده الجانب المادي المتمثل بالجانب العمراني ، و المادة المكتوبة أو المرسومة (مخططات المساقط الأفقية ، رسوم الواجهات والمقاطع ، و غيرها من التفاصيل) و هذه المادة المكتوبة أو المرسومة يمكن اعتبارها أكثر منهجية لأنها تستند على موضوع موجود و ثابت وجوده و هو التقني الواسع الحدود ، و الشواهد العينية تتضمن ما تركه السلف من صروح عمرانية ، و هي على هيئة آثار معمرة لا زالت باقية معنا إلى اليوم ، رغم رحيل بانيها منذ آلاف السنين ، و عمارة اليوم قد تصبح آثاراً في المستقبل ينظر إليها إنسان المستقبل كنظرتنا نحن إلى العاديات الباقية ، لذا يفترض بالمصمم في العصر الحاضر أن يأخذ هذا بالاعتبار و التوجه ليكون تصميمه خالداً و معمرّاً و مميزاً ، و على المجتمع أن يقيم مبانيه بكل دقة و تأني و اهتمام حتى يطيل عمر المبنى و يكون هذا المبنى بمثابة السجل المعماري الحي للأجيال القادمة ،

ينعكس هذا الاهتمام في التحكم بالنسب الجميلة (اختيار المواد المعمرة و الجيدة، الإنشاء بمتانة و جمالية ، التفاصيل الجيدة ، و التركيز على الزخارف و الاهتمام بها و بملائمتها و تمشيها مع البيئة الموجودة ضمنها ، و بهذا تتحقق صفة التاريخية و تكون قيمة العمل موازية لمساهمته في إثراء المخزون التاريخي .المباني القديمة جزء من التاريخ يجب المحافظة عليه ، و تكون المحافظة عليه بصون خصائصه ، و ليس بترميمه فالترميم عملية دقيقة و فنية على درجة عالية من الأهمية ، و لذلك يخشى أن يقوم بالترميم من تكون كفاءته الفنية دون المستوى المطلوب ، بقصد أو بدون قصد قد يعمد إلى القضاء على العديد من ملامح البناء الأصلية (كما حدث في آخر ترميم لحمام سلمية الأثري) ، و الجانب التاريخي للعمل المعماري يتحقق إذاً بالمحافظة على الموروث و العمل على إيجاد عمارة دائمة .

العمارة فن يتجاوز دوره الوظيفي ليشمل توفير المتعة و القوة و الصحة و الراحة النفسية لشاغل المبنى ، و عملية البناء و مقدار نشاط هذا البناء يتضمن رؤية أجزاء المبنى المختلفة مع بعضها البعض في صورة متزنة بحيث لا تحدث خللاً في التركيب الإنشائي ، و ما يميز العمارة هو جانبها الفني من خلال مخاطبة الحواس الإنسانية المختلفة .

تعتبر العمارة من أكثر الفنون عرضة على الآخرين بعكس الفنون الأخرى، و من الصعب حجب العمارة عن الأعين ،و العمارة تتعدى الاستخدام المباشر ، و حقيقتها ليس في استعمالها ، و لكن في تهيئتها

الفرص المختلفة لاستخدامها و تأثير ذلك الاستخدام على من يشاهدها أو يستعملها ، إن قيمة المبنى الفنية تكون بحسب قدرته على إيصال السرور و البهجة للناظر من خلال العلاقات الخاصة لمكونات العمل المعماري المعروض تحت ضوء الشمس ، إن دقة الصنعة و جودتها بغض النظر عن التكلفة تساهم بدرجة كبيرة في إثراء العمل المعماري ، ليس المقصود بهذا المبنى بحد ذاته أو المواد المستخدمة في إنشائه ، و لكن المقصود هو قدرة الأداء الحرفي لمكونات المبنى ، و نوعية المواد الداخلة في تشكيله و التي أوصلت هذا المبنى إلى يومنا هذا مقاوماً السنين و حوادثها الكثيرة ، و لكي تكون العمارة مؤثرة و فاعلة بتشكيل الحضارة عليها مراعاة القوانين في المجتمع المنتج لها ، و عليها أن تكون معبرة عما يتحقق من تقدم و تطور في كافة المجالات الأخرى ، و أن تكون هذه العمارة محددة المعالم و ظاهرة الهوية حتى تثبت انتماء المباني على اختلاف أنواعها إلى مدرسة معمارية معروفة تعتمد على المخزون الحضاري للمجتمع ، و إذا كانت العمارة لا تبحث عن التجديد ، و لا عن إيجاد نمط معماري جديد ، و لا هي ساعية نحو تحقيق معالم معمارية ترسخ أصالة و ثراء المخزون الحضاري بأبعاده الثقافية و السياسية و الاقتصادية ، عند ذلك تبقى هذه العمارة متفوقة على نفسها ، مكررة نماذجها القديمة ، و ثابتة على ما و جدته من السابق ، كما تثبت بيوت النحل و النمل و العنكبوت ، و في هذه الحالة يكون العقل المعماري معطلاً ، لا يتطور و لا يتقدم ، و هذا شأن كل العلوم و المعارف (إذا لم تتطور صارت إلى الجمود القاتل) .

قليل الكثير في العمارة من المعاني الدالة عليها و أهم ما قيل فيها:

-: العمارة هي وعاء الحضارة ، و هي تمثل بالخلاصة الهوية الثقافية و الاجتماعية لأي حضارة .

-: العمارة أرشيف صادق للحضارة ، و مخزون واسع يضم بين جدرانه نفائس تلك الحضارة و ما مر عليها من أحداث.

-: العمارة توصل آثار الأمم القديمة التي اندثرت إلى الحاضر و من خلالها نستطيع تصور طبيعة و حياة الأمم و الروابط التي كانت بين أهلها ، و البيئة و العقيدة الدينية و اللغة و العادات المكتسبة و الثقافة السائدة أيامها .

-: كانت العمارة و ما تزال مرآة تعكس حقيقة المجتمع الحضاري ، و مهما غاب ذلك المجتمع في كهوف الزمن المنقضي تبقى عمارته تدل عليه ، و على المستوى الذي تبوأه .

-: إن تطور أية حضارة مرتبط بتطور عمارتها ، و العمارة نتيجة لكل محاولة قام بها الإنسان ، و هدف من وراء إقامتها توفير الراحة و الأمن و الجمال سواء كان مستوى العمل بدائياً ، أو متكاملأ فهو يعد من أسس العمارة .

-: العمارة هي انعكاس صادق لثقافة أية أمة وجدت ، و هي فن البناء وفق قواعد جمالية و هندسية ، و هي التي تنظم المدن و المباني و تنجزها لكي يأوي إليها الناس في حياتهم ، و في أعمالهم .

-: العمارة بكل أشكالها هي أحد الرموز الثقافية المادية التي تعكس تعاقب التاريخ بتطوراتها و تغيراته التكنولوجية و البيئية .

-: العمارة هي أكثر الوثائق التي يمكن اعتمادها في إعادة بناء تصورنا عن الماضي ، فهي تعطينا مباشرة المعاني الاقتصادية و الاجتماعية و السياسية السائدة في المكان و الزمان ، و هي الوسيلة الأولى لإبراز ملامح و هوية الحضارات التي قامت ثم بادت في العالم .

-: العمارة شاهد و دليل على مقدار ما وصلت إليه الحضارة من الإتقان الفني و المعماري

(جمالية العناصر المعمارية و المكونة للمبنى و تناسقها مع بعضها البعض) ، و قيمة أية عمارة تكمن في قدرتها على تحريك المشاعر الإنسانية بشكل متناغم و منسجم و دال على المعاني الموجودة بين عناصر المبنى .

إن جميع ما تم تأريخه عن العمارة يبدأ دائماً بعمارة عصور ما قبل التاريخ ، و عمارة الأقوام البدائية و التثبت من أن هذه الأقوام قد تركت بقايا و آثار من صنعها ، و من خلال هذه الآثار و البقايا تتضح لنا ملكة الإنسان في الخلق و الابتكار و ما تبع ذلك من تطوير و تهذيب ، أما مستويات النجاح و الفشل في محاولات التطوير و التهذيب فتختلف مقاييسها و تتفاوت حسب العصور ، و حسب طرق التفكير ، و الظروف البيئية المرافقة لها ، و الإنسان الأول في البداية كان يكتفي بالعيش داخل

الكهوف بدون أن يعدل أو يغير ، ثم بدأت أول مرحلة من العمارة مع أول محاولة منه في تسوية أرض الكهف و جدرانها و سقفه لكي يتسع الكهف و يرتاح داخله ، أو حين يغلق باب الكهف بحجر كبير لكي يضمن لنفسه و لعائلته الأمن و هم داخل الكهف ، ثم تزيين داخل الكهف بجلود الحيوانات التي أصطادها ، و أغصان الأشجار ، حتى يوفر لساكني الكهف نوعاً من السرور نتيجة هذا التغيير ، و بهذا وضع اللمسات الأولى في صورتها المختلفة و البدائية لركن من أركان العمارة ، و كذلك وجدت العمارة في أول صورتها عندما بدأ الإنسان في مناطق أخرى في بناء ملجأ له من فروع و أغصان الأشجار ، أو من الطين أو من الحجر ، إلى غير ذلك من المواد التي تتوفر في كل منها ، و صارت العمارة تتطور مع مرور الأيام حتى قيام الحضارات حيث صارت من أهم عناصر قوة و مكانة الحضارة المشكلة لها ، و مع التطور المتزايد تبلورت معاني و تقاليد العمارة على ضوء التجارب و التكرار في إخراج و إظهار القطع المعمارية التي حصل عليها الناس مع مرور الوقت ، ثم كونت كل حضارة منفصلة عن غيرها من الحضارات طرازاً معمارياً خاصاً بها ، يتميز عن غيره بسمات فنية و علمية تختلف قليلاً أو كثيراً عن الأخرى و حسب البعد الزمني و المكاني عن الحضارات الأخرى ، حيث كان كل طراز منها يتأثر خلال تكوينه بعوامل البيئة للحضارة ، و عوامل الاعتقاد و السياسة و الإمكانيات المادية و رخاء الناس أو عدمه ، كما يتأثر بالطبيعة الجغرافية من حيث المناخ السائد في المنطقة من اعتدال الطقس

أو الحرارة العالية أو البرودة القاسية ، و بالطبيعة الجيولوجية من حيث توفر مواد البناء و تنوعها و طرق تنفيذها .

و من الحقائق المعروفة عن فن العمارة التي نقول : إن إنتاج أية قطعة معمارية يحتاج إلى العلم و الفن ، و يدخل تحت العلم فروعه المختلفة من رياضة و طبيعة و كيمياء ، بل و تحتاج إلى علم النبات و الحيوان و غيرها أيضاً ، و يدخل تحت باب الفن أنواع مختلفة من الفنون التشكيلية و التطبيقية ، و ذلك ليوفر العلم من جهته ركن المتانة و الآمان ، و الراحة و الاستحسان ، و من ناحية ثانية يوفر الفن الراحة البدنية ، و البهجة و السرور (الراحة الحسية) ، و يزيد نصيب كل من العلم و الفن أو ينقص تبعاً للهدف الرئيسي من وراء بناء القطعة المعمارية ، و لذلك أصبحت المصانع و المعامل و هنكاراتها في العصر الحديث قطع معمارية رغم أنها بنيت بالكامل من الحديد و مشتقاته.

و يظل فن العمارة سجلاً خالداً لحياة كل منطقة في كل عصر ، و الصورة الباقية التي تعكس في خطوطها أسلوب المعيشة لتلك المنطقة و ما وصل إليه أهلها من تقدم و تطور علمي و فني و ثقافي ، و الخصائص التي تتميز بها طرز البناء في كل مرحلة حضارية من مراحل التاريخ ، و ما تتم به من مميزات خاصة و عامة، تعتبر نتيجة طبيعية لتفاعل العديد من التأثيرات الداخلية و الخارجية ، و نتيجة حتمية لمدى تلاؤم و تضارب شتى العوامل المادية و الروحية المؤثرة في إبداعها .

إن الحضارة بمعناها الشامل تعرف بأنها تراث و إنتاج مشترك بين الأمم المختلفة يبين فضل كل منها و قيمة إسهامها في هذا الإنتاج ،إن مهد الحضارات و منبعها كما أثبتت المكتشفات الأثرية ، هو الأرض السورية ، و منطقة الرافدين ، و من هذه الأرض الخصبة المعطاء نبتت العلوم و المعارف ثم انتشرت إلى أوروبا و آسيا و أفريقيا ، و بما أن حضارة كل أمة هي امتداد لحضارة سابقة لها وجدت قبلها و اكتملت ثم زالت بحكم الزمن ،و الحضارة السابقة قد تكون وجدت على نفس الأرض التي وجدت عليها الحضارة التالية ، أو وجدت على أرض مختلفة قد تكون قريبة أو بعيدة عن أرض الحضارة التالية ،و يمكننا القول بكل ثقة : إن الحضارة اليونانية هي امتداد للحضارة السورية ، كما أن الإغريق أخذوا الكثير من الحضارات السورية القديمة ، أخذوا من العلوم المختلفة و التي كانت موجودة على الأراضي السورية ، و لقد عاد إلينا بعض هذه العلوم على أنه علمٌ إغريقيٌّ أصلاً و ليس فرعاً ،و كما هو معروف تاريخياً بأن العلوم البابلية و السومرية قد انتقلت إلى اليونان بطرق مختلفة ، و أهمها الطرق التجارية ، و من أهم العلوم السورية التي انتقلت إلى أوروبا بشكل عام و إلى اليونان و إيطاليا بشكل خاص هي العمارة السورية المميزة بعناصرها الأساسية ، و على الأغلب نقلت تلك العمارة على أيدي معماريين و فنيين سوريين ، رحلوا إلى أوروبا نتيجة ظروف عديدة ، و هناك أسسوا لعمارة أوروبية تحتوي على معظم العناصر الرئيسية للعمارة السورية ، هذه العمارة التي ولدت على أيدي معماريين من سورية ظهرت معظم خصائصها متطابقة مع خصائص العمارة السورية و التي تمثل

تعدد الحضارات التي تشكلت فوق أرضها، و من أبرز المواد التي نقلت صناعتها إلى روما (القرميد المشوي) الذي أبدع صناعته الإنسان السوري و بهذا الإبداع تحسن البناء و تنوعت أشكاله ، و القرميد المشوي أكتشف ما بين الألف السادس ق.م و القرن الرابع ق.م ، و قد استخدم في البيوت السكنية و الدينية و الحصون ، و بتوسع استخدامه ازداد عدد السكان كدلالة على الاستقرار ، و تحسن الظروف المعيشية ، و ظهرت لأول مرة الأبنية الكبيرة ذات النفع العام ، إن منجزات هذه الفترة هي الأسس القوية التي قامت عليها حضارة الألف الثالثة ق.م (حضارة المدن الأولى في العالم القديم آنذاك) و التي تمثلت في سورية بمملكتي " إبلا و ماري " .

إن القصور الأولى ظهرت في " تل خويرة " في الجزيرة السورية ، و شيد الكيشيون القصور الرافدية الأولى إلى جانب المعابد ، و يعد قصر ميساليم في كيش من أقدم القصور ، و قصر (زمري ليم) الذي بني على " تل الحرير " و هذا القصر يعتبر أحد أكمل و أكبر الاكتشافات التي تدل على تطور فنون العمارة خلال الربع الأول من الألف الثاني قبل الميلاد حيث انتشر العموريون في الشرق القديم ، و عاشت " مملكة ماري " في هذه الفترة مرحلة ازدهار و بعد تولي " زمري ليم " الحكم في ماري وصلت إلى قمة نهضتها و تطورها في عصره ، و هذا القصر يعتبر درة العمارة الشرقية القديمة ، و اكتشفت في تل خويرة أبنية هامة عديدة كانت على الأغلب قصوراً .

إن التخطيطات الهندسية المنتظمة الإغريقية (الأعمدة ، الزخارف ،
و الخطوط المنكسرة) و الطراز الهلنستي ، و الطراز الروماني ،
التخطيطات المنتظمة الرومانية ، البازيلكا الرومانية ، الحمامات الرومانية
، العماير السكنية ، قناطر المياه ، الأعمدة الرومانية ، العناصر و
التفاصيل الرومانية ، التيجان المركبة الرومانية ، العقود ، القباب و
مناطق الانتقال الحاملة لها (المثلثات الكروية) ، الأقبية الطولية و
المتصالية ، الحنيات المعمارية ، الزخارف ، كنائس إيطاليا البازليكية،
مميزات الكنيسة البازليكية ، جميع الآثار و العناصر التابعة للعمارة
البيزنطية المساقط الهندسية المنتظمة للكنائس البيزنطية ، المسقط
الصليبي و العقد المدبب ، المثلثات الكروية ، تغطية جملونات الكنائس
من الخشب و بخاصة في العصر المسيحي المبكر، النقوش و الزخارف
النباتية ، الزجاج المعشق و لوحات الفسيفساء ، كل ما ذكرناه بخصائصه
و أصوله مأخوذ (حسب المكتشفات الأثرية) من الفن المعماري السوري
القديم ، ومنذ الألف الرابع ق.م و ظهور عمارة المدن و القصور و المعابد
و القلاع ، من ذلك التاريخ بدأت أوروبا تتأثر بخصائص و عناصر
العمارة السورية ، حتى أنها نقلت معظم العناصر كما هي بدون أي تعديل
و لا إضافة ، و بعضها تم التعديل عليه و تطويره ليناسب البلاد
الأوروبية ، و رغم هذه التعديلات لا تزال العمارة الأوروبية القديمة أقرب
بالمكونات إلى العمارة السورية و أشبه بها من أية عمارة أخرى ، و ما
ظهر العمارة الكلاسيكية في أوروبا منذ أيام الإغريق إلا برهاناً على ما
نقول خصوصاً و إن العديد من الكتاب الأوروبيين المنصفين قد نوهوا إلى

أن العمارة الإغريقية قد امتزجت بالفنون السورية القديمة ، و قد تأثرت العمارة الإغريقية كثيراً بعراق و أصالة العمارة السورية ، و قليل من العمارة الفرعونية في مصر و ما وصل إلى العمارة الإغريقية (التي تعتبر أم العمارة في أوروبا) من تأثيرات فنية دقيقة و جميلة وصل أغلبها (عن طريق التجارة ، و التنقل بحثاً عن العمل) من حضارات وجدت على الأرض السورية ، احتكت معها و أخذت منها و أعطتها صفوة إنتاجها ، و لقد توفرت بين أيدينا أدلة و إثباتات كثيرة ، و كل يوم جديد تشرق فيه الشمس من جديد يتم في سورية اكتشاف آثري لمعالم كانت منسية في ذاكرة التاريخ ، و كل اكتشاف جديد فيه دليل جديد على عظمة الحضارات السورية ، ففي سورية و بلاد ما بين النهرين أظهرت التنقيبات الكثير من الآثار المعمارية الهامة و التي تعود لحضارات الألفين الرابع و الثالث ق.م و تنسب هذه العمارات إلى قدماء السوريين الذين شيّدوا المعابد و المعالم المعمارية في العديد من المواقع (أوغاريت ، ماري، عين دارا ، حلف ، و غيرها) ظهرت في هذه الآثار جودة التخطيط و روعة البناء و تنوع عناصر الزخرفة كالرسوم الجدارية و الألوان التي استخدمت فيها ، و كذلك الفسيفساء التي وجدت في معبد " أوروك " و هذا الإرث المعماري و الحضاري الذي تركه الإنسان السوري استطاع الاستفادة منه (كما ذكرنا سابقاً) كل من العمارة الهلنستية و الساسانية و الرومانية و البيزنطية ، و يمكننا اعتبار هؤلاء مجرد وسطاء معماريين أعادوا معظم ما أخذوه من العمارة السورية بعد فترة ركود معمارية أو في وقت كانت العمارة في

سورية تعطى هوية رومانية أو بيزنطية ، أعيدت هوية العمارة السورية إليها عند المباشرة في بناء الجامع الأموي في دمشق.

منذ فجر الأزمنة التاريخية الغابرة كانت العمارة في الأساس دينية أو مدنية ، و كانت لغتها الرئيسية محددة بالشكل الخارجي و الداخلي ، حيث تقدم البحث عن الجمال من دون إهمال المواد و طرق البنيان و مقدار الكلفة المادية لهذه العمارة ، و لم ينظر للعمارة نظرة تعتبرها مهنة مستقلة لها مميزاتها و خصائصها ، و لم تعتبر نهجاً تعليمياً يمكنه التوسع و الانتشار كما هو ، بل تغيرت النظرة للعمارة حيث أصبحت مهنة علمية فنية على درجة عالية من الدقة و الحرفية ، و لذلك نشأت أول مدرسة في باريس مخصصة لتدريس العمارة عام ١٦٩م ، و في استانبول قامت عام ١٨٨٨م مدرسة تدرس الرياضيات و أصول الهندسة ، و في بيروت عام ١٨٧٥م تم إحداث فرع للعمارة في كلية الفنون بالجامعة الأميركية ، و في العصر الإسلامي كان هناك العديد من المدارس التي تعلم العمارة حسب أصولها (هندسة إقليدس) و أهمها في بغداد و أخرى في القاهرة و الثالثة في الأندلس و هذه هي المدارس الرئيسية التي تفرع عنها كثير من المدارس تركزت في المدن الكبرى ، و منذ ستينات القرن الماضي أصبحت العمارة تدرس في (أمريكا ، و أوروبا و جميع أنحاء العالم كعلم مستقل يدرس ضمن المدارس و المعاهد و الجامعات ، و في سورية تدرس العمارة في كليات مستقلة على أنها أحد فروع الهندسة العديدة و التي تدرس في الجامعات السورية ، و في نهاية كل عام دراسي يتخرج

من هذه الكليات أعداد كبيرة من المعماريين و المعماريات الأكفاء ، يرفدون ميادين العمارة بما اكتسبوه من علم و معرفة خلال سنين دراستهم ، هذه المعرفة التي أعطتهم القدرة على معالجة المسائل المعمارية بأريحية مرتكزة على ثقافتهم المعمارية المكتسبة، والتي منحتهم من روحها إمكانية التكيف مع الواقع و مشكلاته المعمارية ، و على مستواهم العقلي المتقدم الذي يعطيهم القوة على مجابهة كل المعضلات المعمارية المحتملة ، و لا تزال العمارة كمادة أكاديمية تتقدم و تتطور في العالم كله و خاصة بعد اكتشاف العديد من الأدوات و الآلات الحديثة التي تمكن المهندس المعماري من تخطي مشاكل معقدة ، كان حلها قبل ذلك صعباً ، و خاصة في المباني في نظام الأبراج (أكثر من عشرين طابق) ، و في المشاريع الكبيرة الأفقية (كالمصانع الضخمة ، و الفنادق الكبيرة و مؤسسات الدولة التي تتجاوز مساحتها آلاف الأمتار المربعة ، و لقد أعطتنا تلك الآلات الحديثة وضوحاً كبيراً بالعمل و قدرة على تصميم مباني ينظر إليها المختص مستغرباً من إمكانية تنفيذها بسهولة و سرعة و يسر .

العمارة الإسلامية:

قلنا في الفصل الأول إن معظم العمارة الأوروبية القديمة قد تأثرت
تأثراً كبيراً بالعمارة السورية ، و كان للعمارة الأوروبية (إغريقية ،رومانية
،بيزنطية) الدور المهم في إظهار الكثير من المعالم المعمارية الدقيقة
المزينة بكل فنون التشكيلات الزخرفية المعروفة تلك الأيام ، و لا يزال
الكثير من المعالم المعمارية المثيرة للجدل موجوداً حتى اليوم مثل (
بازيليكا قسطنطين ، و بازيليكاتراجان ، و معبد البانثيون ، و معبد فسيتا
..الخ) هذه الصروح المعمارية التي قارعت الزمن و أهواله و بقيت
صامدة حتى اليوم ، برزت فيها العمارة القديمة التي أنجزت من قبل
الإغريق و الرومان و البيزنطيين ، و في العهد الأخير كثرت المباني
الدينية (الأديرة و الكنائس) في المناطق الواقعة تحت سيطرتهم ، و في
تلك الفترة برزت في سلمية " أبرشية" تابع لها أكثر من أربعين كنيسة ، و
هذا إن دل فإنه يدل على أهمية سلمية ،و من هذه المكانة يمكن التأكيد
على أن سلمية كانت عامرة بالسكان ، حيث هي مرجعية دينية تلزم
الكنائس التابعة لها بالتواصل الدائم معها و مع سكانها ، و في تلك الأيام
بني فيها الحمام و القلعة و أغلب الأماكن التي دلت عليها آثارها ، و مع
بداية انتشار الدعوة المحمدية و وصولها إلى سورية ، دخل أغلب سكان
سورية بالدعوة الجديدة ، و منذ ذلك التاريخ بدأت معالم العمارة المتواجدة
آنذاك بالتغيير و التبديل و على مراحل متقاربة في الوقت أحياناً و
متباعدة أحياناً أخرى ، و هذا بسبب المتغيرات الجديدة التي عمت البلاد ،
و التي تنص على التقيد بشروط خاصة أدت إلى تطور عقل المهندس
السوري في إيجاد البدائل المتوافقة مع هذه الشروط الخاصة ، لقد اختقت

التمائيل التي كانت تزين المعابد و الساحات و القصور ، و حل محلها واجهات فيها حركة و تنوع ضمن إطار واحد يحتوي الانسجام و الجمال و البساطة ، ظهرت الشرفات في الواجهات و تحولت السقافات المستخدمة في العمارة العسكرية إلى مشربيات في البناء السكني و ظهر التنوع في الأبواب و الشبابيك و عقودها المميزة و التي زينت بالخط العربي و خطوط النباتات ، و بعضها زين بالآيات القرآنية و خاصة في الأماكن التي لها علاقة بالعبادة ، كالمساجد والمكتبات والمدافن ، و اختلفت التوزيعات الداخلية للمبنى تلك التوزيعات التي تمثل جوهر العمارة ، حيث صارت أكثر سهولة في الاستخدام ، و خاصة حركة التنقل بين وحدات المبنى بأقصر الممرات و أوسعها ، و كذلك الوحدات الرئيسية التي يتكون منها ذلك التخطيط ، أما التفاصيل و عناصر الزخرفة التي تعتبر المظهر الخارجي الذي ينعكس عليه تفاوت درجات الأناقة و الثراء ، فقد انتشر استخدامها في معظم المباني و تطورت موادها تطوراً سريعاً .

هكذا تكونت العمارة الإسلامية و تشكلت بقوة و علم و تصميم على منافسة جميع طرز المعمارية المعروفة ، و فعلاً نالت النجاح في وجودها العريق و كانت الروح الدينية المغذية لها الدور الكبير في تحقيق عمارة ما زالت دائمة الوجود حتى يومنا هذا ، هذه العمارة أعطت العمارة السورية عناصر هامة حققت التقدم و الرقي في مجال الفن الهندسي المميز ، و قبيل الدخول إلى عالم العمارة الإسلامية الواسع نريد أن نؤكد أن ما كسبته العمارة الإسلامية من العمارات المعاصرة لها أو من السابقة

لها ، كل ما أخذته هو على الأغلب مجموعة مكونات هي بالأصل مأخوذة من العمارة السورية ، و هذا يعني أن قيام العمارة الإسلامية و تطورها و تفرداها بعناصر خاصة ،إنما هو من خلال المهندس السوري القديم و الحديث يومها ، و لا يوجد أي دليل مادي محسوس على اقتباس العمارة الإسلامية لأي عنصر هام من أنظمة معمارية أخرى وصار هذا العنصر بعد استخدامه عنصراً أصيلاً في عمارتها ، و منطقة الشام احتفظت بعدد كبير من الآثار الرومانية العظيمة مثل (تدمر ، بعلبك ، بصرى ، دمشق، القدس ، ..الخ) و لا زال الكثير من هذه الآثار قائماً بفضل جودة أنواع الحجارة التي شيد بها ، و بفضل مهارة الصانع و المهندسين الشاميين في انتقاء و قطع و تسوية و بناء الأحجار ، و ذلك ضمن رؤية و ذوق و اتجاه محلي بحث و خاص بهؤلاء الصانع و المهندسين ، هذا بالإضافة إلى مهارة المهندسين في تخطيط و تصور التفاصيل و العناصر ثم تنفيذها على أرض الواقع .

إن مشاهدة مواطن الجمال الخصب التي تركها أجدادنا راسخة في آثارهم المعمارية تعكس رؤية إسلامية عقائدية مؤثرة في التفاصيل الصغيرة للعلاقة القائمة بين عناصر العمارة الإسلامية ككل ، مما يعطي انطباعاً لدى المشاهد بأصالة تلك العمارة الخالدة و المتضمنة وحدة الطابع و تشابه الروح الإيمانية لدى المجتمع المنتج لتلك العمارة التي حافظت عليها الأجيال المتعاقبة و على طابعها المميز و روحها الدينية البارزة ضمن جميع المباني ، حيث خضعت أغلب المباني للتجديد و الترميم و الزيادة

في العناصر الثانوية و المناسبة لكيان تلك المباني ، جرت تلك التحولات عبر توالي السنين عليها ، و كان أهل الحرف و المهندسين حريصين على رعاية الطابع الأصلي و عراقته ، محترمين في تجديدهم أعمال الأجداد على الرغم من الإضافات الضرورية التي قدموها للمبنى الواحد ضمن إطار المحافظة على الوحدة المعمارية و نبض العمارة الإسلامية ، و هذا أعطى أهمية للتراث المعماري في العصر الحالي باعتباره حلقة وصل بين الماضي و الحاضر ، و ربما امتد إلى المستقبل من أجل تطوير النسيج المعماري للمدن ، لما في العمارة الإسلامية من لفتات فنية مؤثرة و بديعة تخدم المصمم و صاحب المشروع ، حيث أن التراث المعماري يعتبر أحد كنوز المعرفة الرافد للتأغم و الانسجام بين مختلف عناصر العمارة الحديثة ، و في نفس الوقت يثبت هوية و تماسك المجتمع المنتج للعمارة الرائدة ، و لو نظرنا إلى وحدة نسيج التكوين العمراني للأجزاء القديمة في أية مدينة إسلامية لرأينا تضامناً المباني و تجمعها في نمط عمراني مندمج مع شبكة متعرجة و ضيقة للطرق إلى جانب الاختلاف الظاهر في ارتفاع أجزاء المبنى الواحد و في ارتفاع المباني المتجاورة .

ما هي العناصر التي اقتبستها العمارة الإسلامية من غيرها ؟؟!

قيل إن مدينة " بغداد " التي بناها المنصور العباسي حوالي عام ١٤٩ هجري ، خطت على شكل دائرة ، و من المحتمل أن فكرة بناء المدن المستديرة كانت معروفة منذ عشرات القرون ، كما تشير إلى ذلك الآثار

الباقية ، و هي متواجدة في الشام و العراق ، و المدن المستديرة في كل من الحضر و سلمان باك و هرقلة في العراق ، مما يعزز نسبة مصدر المدن الدائرية إلى بلاد ما بين النهرين و سورية ، و ليس لغيرهما كما جرت العادة التي اتبعتها المؤرخون الغربيون الذين نسبوا كل ما هو أصيل في بلادنا إلى بلاد و حضارات مجاورة ثبت أنها شكلت حضارتها على الكثير من التراث الحضاري لبلادنا ، و من الطبيعي أن التخطيط الدائري ليس له مثيل و لم يتكرر في العصر الإسلامي بعد بغداد ، و فيما يتعلق بنماذج العمائر ، فالثابت إنه لم يقتبس منها إلا في العصر الأموي سوى نموذج واحد هو مسقط قبة الصخرة التي بناها عبد الملك سنة ٧٢ هجري ، و هذا يشير إلى أن المسقط من الشكل الهندسي المنتظم ظهر في العمارة الهلنستية في بلاد الإغريق ثم انتقل إلى العمارة الرومانية ، و استخدم بعد ذلك في العمارة الكنسية البيزنطية ، و هذا النموذج لم يتكرر بعد ذلك ولا شيء يشبهه في أي قطر من العالم العربي الإسلامي خلال ثلاثة عشر قرناً ، و لكن يحق لنا التساؤل عن المصدر الذي جاء منه إلى العمارة الهلنستية ، هل هو اكتشاف هلنستي بحث ، أم هو مقتبس من مساقط عمرانية لحضارات سابقة ؟! ، و تجيب الاكتشافات الأثرية و تؤكد وجود هذا النظام في العمارة السورية القديمة ، و هكذا نرى أن العلوم و المعارف قد خرجت من أرضنا السورية ثم عادت بلباس جديد لا يخفي حقيقة مصدرها الأساسي ، و قد أدعى البعض أن تخطيط الجامع الأموي في دمشق مقتبس من تخطيط الكنائس ذات التخطيط البازيليكي المكون من ثلاثة أروقة ، بل ذهب البعض منهم إلى أن ظلة القبلة هي الكنيسة التي

كانت بداخل المعبد الوثني الروماني ، و هذا ينافي الحقيقة لأن وجود المجاز القاطع الذي يقسم البائكتين اللتين تسيران من الشرق إلى الغرب ، و الذي يقع محور هذا المجاز على المحراب ، هو ظاهرة جديدة لم يكن لها سابقة قبل بناء المسجد الأموي ، و الأروقة في ظل القبلة متساوية في العرض ، بينما يمتاز الرواق الأوسط في الكنيسة بأنه أعرض من الأروقة الجانبية ، و هذا ظاهر في جميع الكنائس دون استثناء ، و مساحة الجامع الأموي لم تماثل يوماً مساحة أي مبنى ديني سابق ، و نتأكد مما ذكرناه أن الطراز المسيحي المبكر ثم الطراز البيزنطي كان كل منهما صورة طبق الأصل من الطراز الروماني من حيث التخطيط و التفاصيل و العناصر المعمارية و الزخرفة و هذا طبيعي و معروف و ذكرنا عنه في الصفحات السابقة و قلنا أن الحضارة لا تبني مكوناتها من الفراغ ، بل هي بناء تراكمي يتجمع فيه من كل أبنية الحضارات السابقة و المعاصرة ، و هذا يماثل عملية التجارة بين البلدان ، و النتيجة هي تشارك إبداعات متجمعة في نسب مختلفة تأخذ أسم المنطقة المتواجدة بها ، بينما لم يتأثر تخطيط العمارات العربية الإسلامية إلا بالقليل النادر من الطرز السابقة التي سرعان ما أضيف إليها من روح العقيدة ما أكساها ثوباً جديداً و هيكلية منفردة عرفت بالعمارة الإسلامية ، رغم تأثير العمارة السورية (كما ذكرنا من قبل) على العمارة الرومانية و البيزنطية فقد كان كبيراً و مؤثراً و فعلاً ، إن أرضنا السورية قد أعطت الكثير من المماريين العالميين المميزين بمستوى إبداعاتهم المعمارية و هؤلاء ساهموا مساهمة فعالة في تطوير العمارة الأوروبية ، و منحوها من فكرهم و روحهم الشرقية الكثير ،

و لا تزال آثارهم باقية حتى اليوم و أكبر مثال عن العقل المعماري السوري المبدع (أبوللو دور) و هذا المعماري الكبير كان تأثيره على العمارة في أوروبا كبير ، و لا يزال تأثيره باقي حتى اليوم من خلال أعماله العظيمة (جسر نهر الدانوب ، عمود تراجان ...الخ) ، و هكذا يمكننا القول : أن أخذ بعض العناصر من أية عمارة لا يعتبر نقصاً بالمعرفة ، و لا ضعفاً بالإمكانية ، بل إن هذا من طبيعة احتكاك الحضارات ، و من بديهيات تطور العقل الإنساني عبر العصور و الأجيال ، و العماير التي أقيمت على أرضنا أيام تواجد الرومان و البيزنطيين على أرضنا ، من غير الإنصاف نسبها للرومان أو البيزنطيين ، و الحقيقة هذه العماير يجب أن تتسب للأرض التي بنيت عليها ، مثلها مثل باقي الفنون و العلوم التي أنتجتها الأرض السورية خلال آلاف السنين ، ثم نشرتها إلى العالم المتمدن وقتها ليستفيد من صفوتها من أفكار و إبداعات الإنسان السوري القديم ، و من الطبيعي أن نتذكر أن البنين تم على أيدي المواطنين السوريين ، و الرومان و غيرهم هم دخلوا إلى هذه الأرض كمحتلين و لم يحضروا كبناء ، و لم يأتوا بالحضارة إلينا بل أخذوا من حضارتنا و نسبوها لأنفسهم.

تأثرت العمارة الإسلامية ببعض الأحاديث المروية عن الرسول(صلعم) و هي تنص على تحريم الصور و تجسيد الشخصيات بالنحت أو بالرسم و خاصة في الأماكن الدينية (مساجد ، مكتبات، مدافن ..) رغم أن هذه الأحاديث لم يأخذ بها جميع المسلمين ، غير أن تأثيرها انعكس

على العمارة الإسلامية ، و قد استبدل المهندس المسلم الرسوم و الصور و النحت بالزخرفة الفنية ، و خاصة للأعمدة و تنوعها ، و أدخل الفسيفساء المكونة من الزجاج الملون في فلسفة زخرفيه من التشكيلات النباتية و الخطوط العربية ، و انتشرت الزخرفة بعد ذلك على الجدران و الواجهات و الأسقف و صارت علامة من علامات العمارة الإسلامية ، و منذ البداية بدأ المهندس المسلم بالابتكار و إبداع العناصر الجديدة و التي لم تستخدم قبل ذلك ، أو تعديل و تطوير عناصر معمارية كانت معروفة على نطاق ضيق و مستخدمة بقله ، و هي لا تثير أي اهتمام ، و لما تبنتها العمارة الإسلامية و جرت عليها التعديلات صارت أساسية مهما عكس المحتوى الثقافي و الحضاري للفكر و العقيدة الإسلامية ، صحيح أن العمارة تشبه الكتاب المفتوح تسجل فيه الشعوب تاريخها ، و هي فن صادق يكشف حقائق التاريخ المنزوية و العمارة الإسلامية أبدعت من النماذج المعمارية ما يتلاءم مع كل العصور باعتبار هذه النماذج خصائص إنسانية أعطاها الله للإنسان دون سائر مخلوقاته ، فبيوت النحل و العنكبوت و النمل بناؤها صادر عن غريزة ثابتة لم تتغير و تتطور من ذاتها خلال مئات الألوف من السنين ، غير أن الإنسان و من خلال عقله المبدع الذي ينشد التقدم و التطور دائماً ، اعتمد في تطوره على الذاكرة البشرية و تراكم أجيالها ، هذه الذاكرة احتوت التراث الثقافي و الحضاري لكل أمة ، و المعماري المسلم استعان بمحتوى هذه الذاكرة من قيم و أفكار جليلة طوعها و طورها و أبدع بواسطتها أرقى المباني العمرانية .



مقطع في جدار مبني من اللبن الطيني يتبين فيه طريقة التركيب
(سلمية).

أنواع العمارة الإسلامية:

اهتمت العمارة الإسلامية بثلاثة أنواع للعمارة وهي:

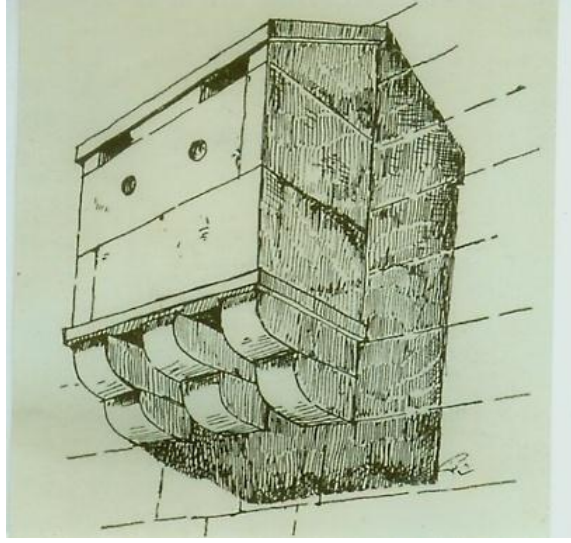
- العمارة العسكرية و تضم (عمارة القلاع ،و الحصون، و الأسوار ، و
الأبراج ..).

-:العمارة الدينية و تضم (عمارة المساجد ،المكتبات ، المدافن ..) .

-: العمارة السكنية و تضم (عمارة القصور ،و المدارس ،الخانات ،المستشفيات ..) .

غلب على هذه الأنواع الاختلاط فيما بينها ، ففي المراحل الأولى كانت القلعة و القصر متماثلان من ناحية التصميم ، و التنفيذ ،و كان هدف الحماية و الأمن المحور الرئيسي الذي تلتف حوله باقي أهداف العمارة ، و هذا راجع للاضطرابات و المشكلات التي تعانيها الدولة الجديدة ، و في القلعة تجد السكن و المسجد ، و المسجد ضروري تواجهه في القصر و كذلك وجود قسم لسكن و إقامة جنود الحماية ، و في المساجد تعلوا الأسوار ، و ضمنها مسكن الإمام و المؤذن.و من أجل ذلك كان لموقع البناء أهمية كبيرة ، و الموقع ذو التحصينات الطبيعية و الإطلالة العالية المشرفة على السهول أو على المدينة هو المفضل لإقامة المبنى المنشود و خاصة إذا كان هذا الموقع فيه مساحات واسعة تكفي احتياجات المبنى و تزيد ، و في العمارة العسكرية نرى أن العمارة الإسلامية قد أضافت إلى التراث الفني العالمي نظاماً لم تكن معروفة من قبل مما أعطى هذه النظم دوراً و طابعاً مميزاً (العقود المتنوعة ، أنظمة المساجد و المدارس ، و القصور و الحمامات و المدافن) كذلك ابتكر المسلمون المداخل ذات المرافق أو المنعطفات المتعددة في المدن و الحصون الإسلامية ، و الغرض من هذه المداخل (مدخل منكسر) هو إعطاء فرصة للمدافع عن هذه المداخل بالتحكم بها و تضيق السيطرة عليها عند محاولة العدو اقتحامها ، و هذا الأسلوب لم يستخدم من قبل ،

و كذلك تعميم استخدام " السقاطات " ، و خاصة فوق الأبواب ، مهمة هذه السقاطات أيضاً دفاعية ، و كانت تستخدم لصب الزيت و القار المغلي على الجنود المهاجمين ، و رميهم بالسهم و الرماح من فتحات السقاطة .



السقاطة في مراحلها الأولى (استخدمت في القلاع و الحصون)

عناصر العمارة الإسلامية:

سنحاول تسليط الضوء على أهم هذه العناصر ، و أكثرها تأثيراً على تطور العمارة الإسلامية ، تلك العمارة التي اتسمت بالبساطة و عدم التعقيد و المرونة و الانسجام بين عناصرها ، و برشاقة الزخارف و تناسبها في أدق التفاصيل ، و هذا ما جعلها عمارة مميزة و ذات استقلالية و قابلية للاستفادة منها في الحاضر و في المستقبل ، و بالتأكيد يلزمها دائماً تطوير وحداتها و تنسيقها بشكل يناسب العصر و الوقت الذي ستستخدم فيه ، بعيداً عن النقل الحرفي المشوه للمبنى بدل أن يزينه خاصة إذا لم يحسن وضع العناصر في مكانها الملائم .

و غايتنا من دراسة هذه العناصر ليس الاطلاع على أهميتها الفنية و دقة تصاميمها ، و روعة أشكالها فقط ، وإنما الغاية الأهم مقارنتها مع عمارة البيوتون المسلح التي نستخدمها اليوم ، و البحث عن السبل السليمة و العلمية لإشراك عناصر العمارة الإسلامية الملائمة لنا ضمن تصاميم المباني الحديثة ، لما لبعض هذه العناصر من فوائد بيئية قد تخفف من الأضرار الكثيرة على البيئة نتيجة استخدام البيوتون و الحديد .

إن الغرب قد درس تاريخه جيداً ، واستخلص الفوائد واستفاد منه في نهضته الحضارية التي نشاهدها اليوم ، و لكنه لم يقف عندها ، بل اعتبره أساساً صالحاً لإقامة الحاضر و التمهيد للمستقبل المفيد.

١-:- القباب:

استخدمت القباب لتغطية المساحات الواسعة ، ظهرت في عمارة ما بين النهرين في المباني الدينية و المدنية، و وصلنا من العصر البابلي شكل قبة على هيئة جزء من دائرة في مدينة " أور " ، كما استخدمت القباب في العمارة الساسانية و البيزنطية ، و أما في العمارة الإسلامية فقد تأخر استخدامها فترة من الزمن ، و ربما يعود هذا التأخير إلى أن عمارة الطوب و الحجر المنحوت لم يكن منتشراً في مباني الجزيرة العربية ، و من المؤكد أن أول قبة بنيت في العصر الإسلامي هي قبة الصخرة في المسجد الأقصى بالقدس في فلسطين ، و قد بنى هذه القبة (الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك) و المصادر التاريخية لا تذكر أن هناك أية قبة مبنية فوق الصخرة قبل هذه القبة ، و من المسجد الأقصى انتقل بناء القباب إلى الجامع الأموي في دمشق ، و من بعده انتشرت في معظم البلاد الإسلامية ، حتى أصبح وجود القبة في أي مبنى ضرورة معمارية قلما خلا مبنى منها ، و أول ما عملت في المسجد الأموي كانت تقام فوق الفراغ أمام المحراب ، حتى تدل على مكان المحراب من جهة و على اتجاه القبلة من جهة أخرى ، لكون سقف منطقة اتجاه القبلة يخالف في الشكل بقية سقف المسجد ، و المكان تحت القبة كان يخصص للخليفة ، أو الأمير ، أو الوالي ليقوم بالصلاة ضمن مقصورة خاصة تفصله عن باقي المصلين ، ثم تعدد انتشار القباب الصغيرة في أركان المسجد ، مع بقاء قبة المحراب بحجم أكبر ، و قد شاع استعمال القباب ، و أصبحت تشكل

عنصراً معمارياً أساسياً في التسقيف في العماير الدينية و المدنية ، و وجدت بعض القباب المفرغة (أي يوجد في هيكلها فتحات للتهوية و الإنارة ، و بعضها كثرت الفتحات الصغيرة فيها و التي كان يثبت فوق كل فتحة شكل زجاجي لينقل النور إلى داخل المبنى .

لعل ارتباط الإنسان بالشكل السماوي هو الدافع وراء تغطية المدافن بالقباب ، و خاصة للخلفاء و القادة و الشخصيات المهمة كالشيوخ المعروفين بعلمهم ، و فضلهم على نشر الأخلاق الحميدة ، و السلام بين الناس .

للقباب الإسلامية أنواع كثيرة منها نصف دائري ، أو ثلاثة أرباع الدائرة أو الطولية ، و المتقاطعة كما في قصر عمرة ، و هناك القباب البيضوية و المضلعة ، و المواد المستخدمة في بناء القباب كانت على الأغلب من (الحجر المنحوت ، و الآجر و الطوب ، و من النادر وجود قبة مصنوعة من الخشب / قبة الصخرة/ و أحياناً نجد في القبة الواحدة الحجر المنحوت مع الطوب أو الآجر) ، و أغلب القباب المشادة من الحجر أو الطوب أو كليهما معاً تعود لفن العمارة السوري ، فلمهندس السوري يعود الفضل في إيجاد قباب متنوعة التصميم و الزخرفة من الداخل و مغطيه من الخارج بأنواع من الزخرفة الجصية و القيشاني المتنوع.

٢- المآذن :

المئذنة هي برج طويل يكون ملحقاتاً بالمساجد ، و الغرض من المئذنة التمكن من إيصال صوت المؤذن للناس و دعوتهم للصلاة في المسجد ، و في الماضي كانت بعض المآذن تزود بالنور مما يجعلها منارة تهدي المسافرين للمدينة أو البلدة ، و قد تستخدم المئذنة أحياناً في إعلان بيانات الدولة ، و في عهد الرسول صلعم لم تكن هناك مآذن ، و لكن مع توسع رقعة الدولة الإسلامية ، نشأت الحاجة إلى المئذنة .

يقال أن مصدر فكرة المآذن يعود إلى " الزيقورات الرافدية " ، أو إلى أبراج المعابد المتواجدة بكثرة داخل سورية ، ربما هذه الآراء تكون

صحيحة ، غير أن المهندس المسلم حول هذه الأفكار القديمة إلى وحدات أساسية ضمن العمارة الإسلامية ، و صارت ضرورة معمارية لكل مسجد

إن أول منذنة دخلت إلى صلب العمارة الإسلامية ، هي منذنة جامع عمر في بصرى ، بعد أن كان الأذان يرفع من فوق أبراج المعبد الذي بني عليه الجامع الأموي في دمشق ، وقد بقيت الأبراج لكي تستخدم في الأذان ، ثم بني فوق أحد الأبراج منذنة عالية " العروس " ، لأن ارتفاع البرج لم يكن كبيراً فهو لا يعلو سطح المسجد إلا قليلاً ، ثم تعدد بناء المآذن في المسجد الواحد ، و أحياناً نجد بعض المساجد تحوي على أكثر من ستة إلى ثمان مآذن ، (المسجد النبوي ، الجامع الكبير في مصر ، الجامع الأزهر في القاهرة ... الخ) ، الشكل التصميمي للمآذن اختلف و لم يكن موحداً ، فهناك الشكل الرباعي و الأسطواني ، و المختلط بين الرباعي و الأسطواني ، و هناك المبني على شكل سداسي أو مثمن ، و قد ظهرت الشرفات في المآذن ، لكي يقف عليها المؤذن ، و لكي تكون فاصلاً بين التعبير الهيكل للمنذنة ، وقد زينت هذه الشرفات المتعددة في المنذنة الواحدة حسب الارتفاع ، زينت بالزخارف و المقرنصات ، و القيشاني (في شمال أفريقيا ، و الأندلس) ، أغلب المآذن سلاسلها من الداخل ، و هناك منذنة جامع ابن طولون في مصر التي أضيفت لبناء المسجد عام ٦٩٦ هـ أيام الخلافة العباسية ، و تسمى بالمنذنة الملوية ، و هذا النموذج مأخوذ من " سامراء " ، و درج هذه المنذنة يقع خارج الهيكل ، و هي قائمة على قاعدة مربعة منفصلة عن بناء الجامع ، و في القرن الرابع عشر ظهرت المآذن المزدوجة " الغوري " في الجامع الأزهر ، و على هذا الأساس انتشرت المآذن في عموم البلاد الإسلامية ، بعد أن أخذت الشكل الخاص لها ، و أصبح تصميمها كامل التكوين المعماري و أسلوب البناء ، حتى اختلف في بناء المآذن أي تفصيل يشير إلى أية صلة بين التكوين المعماري للمنذنة ، و بين الصوامع القديمة أو الأبراج في معبد دمشق الروماني ، أو أي تكوين آخر سابق للإسلام ، و قد صارت عنصراً إسلامياً خاصاً ، أضيف لباقي عناصر العمارة الإسلامية ، لتكتمل الصورة المتناسقة و الجميلة و الخاصة للفن المعماري المسلم ، و ربما تأثرت العمارة الإسلامية كما ذكرنا ببعض مقومات

العمارة الساسانية و البيزنطية ، غير أن الدلائل تشير إلى أن العمارة الساسانية و البيزنطية و من قبلها الروماني قد أخذت الكثير من عناصر العمارة السورية القديمة ، و هكذا هي الفنون تنتقل بين الحضارات ، وتأخذ صفة من هذه الحضارة ، و صفة من الحضارة الأخرى حتى تكتمل خاصيتها ، و العمارة سيمفونية إنسانية عالمية يتقبلها الإنسان في كل مكان من هذا العالم الواسع ، القباب و المآذن بناؤهم في المسجد لم يكن شرطاً دينياً يجب التقيد فيه ، فلا يوجد نص قرآني أو حديث شريف ينص على ذلك ، لكن الاجتهاد و الضرورة هما من أوصل هذين العنصرين إلى مساجد المسلمين ..

٣- السقاطات:

تعتبر من أهم عناصر العمارة العسكرية (دفاعية) ظهرت في العمارة السورية القديمة بشكل بسيط التركيب ، و في الحروب الصليبية أعاد المسلمون استخدامها في أسوار القلاع ، و خاصة فوق البوابات و المداخل ، و هي عبارة عن بروز صغير خارج الجدار ، مصنوعة من الحجر أو الخشب ، أو كليهما معاً ، و محمولة على أظفار حجرية أو خشبية ، و أرضيتها مفرغة بشكل تسمح بالإشراف على المهاجمين ، و إسقاط السوائل الحارة ، أو السهام فوقهم ، ثم انتقلت هذه السقاطات إلى العمارة المدنية ، كالقصور ، و البيوت ، لتستخدم في مجال آخر بعد إجراء التعديلات المناسبة عليها ، و انتشرت في أغلب البلدان الإسلامية و تطورت هذه السقاطة ، أو كما عرفت باسمها الجديد (مشربية في مصر و سورية ، و روشان في الجزيرة العربية و اليمن) حتى صارت مختلفة تماماً عن سابقتها ، و كانت مهمتها الأولى أن تكون حجاباً معمارياً يفصل أهل المبنى عن العيون ، فيحفظ لهم الاستقلالية ، و يضمن الحرية و الخصوصية لنساء البيت ، فهم من خلال المشربيات يستطيعون رؤية من هو في خارج البيت ، و لا يستطيع أحد رؤيتهم ، و حتى داخل البيت كانت تعمل مشربية مواجهة للمدخل الرئيسي ، حتى تستطيع النسوة رؤية

الداخل إلى البيت من غير أن يراها ، ثم تطورت منافع المشربيات ، لتكون عنصراً مهماً في المعالجة المعمارية للبيئة الحارة و المناخ القاسي في البلاد الإسلامية ، فقد ساهمت المصبغات الخشبية المكونة لها ، تلك المنزلة بطريقة تسمح بالتحكم بمرور الضوء ، و تقلل نسبة الأشعة المارة من خلال تلك المصبغات ، فتحول مسارها إلى داخل البيت ، فتصل خفيفة التأثير مترافقة بكميات هواء باردة و لطيفة ، و يتم ضبط الهواء فيها من خلال الأجزاء الخشبية السفلية الضيقة، و العلوية المتسعة ، بالإضافة إلى أن سطح المشغول الخشبي كروي الشكل ، يساعد على انزلاق الهواء عليه ، و لا ننسى أن بروز المشربية عن الجدار يتيح التعرض لتيارات الهواء الموازية لواجهة البيت ، و هذا يؤثر على رطوبة الهواء المار من خلالها لداخل المنزل ، و لهذا السبب خصصت أماكن لوضع أواني الشرب الفخارية لكي يتم تبريدها ، و هكذا نرى أن المشربيات تعمل على تكييف المنزل و تبريده طبيعياً و بدون كلفة مادية و بدون الحاجة إلى الأجهزة الكهربائية الحديثة ، و قد وصلت صناعة المشربيات إلى درجة كبيرة من الإتقان حتى أخذت شكلاً معمارياً رائع الحيوية و الجمال ، و هذا العنصر أفاد العمارة الإسلامية كثيراً نتيجة تعدد فوائده المعمارية و البيئية و الصحية ...

المقرنصات :



مقرنصة فوق المدخل الرئيسي لبيمارستان أرغون الكامل (حلب)

المقرنصات الإسلامية تلك التي تعتبر تنفيذاً عملياً للهندسة الوصفية التي تعالج العلاقة بين المستويات فيما بينها ، كما تعالج العلاقة بين المستويات و الحجوم ، و كذلك تداخل الحجوم مع بعضها البعض .

ابتكر الساسانيون طريقة للانتقال من زوايا ركن المربع إلى دائرة القبة و ذلك بوضع حنية في كل ركن على هيئة قبة نصف دائري أو نصف بيضوي يتضاءل قطره كلما قرب من ركن المربع ، و هو أشبه بنصف مخروط وضع محوره أفقياً بحيث ينصف هذا المحور زاوية الركن القائمة ، أي أن قاعدته النصف بيضوية ، أو نصف دائرية قد وضعت في مستوى رأسي ، و وضع ضلعا نصف المخروط في مستوى أفقي بحيث ينطبقان على ضلعي زاوية ركن المربع .

مقرنص أصلها في المعجم الوسيط " مقرنس " و قرنس السقف و البيت أي زينه بخوارج منه ذات تدريج متناسب فهو مقرنس ، و هي كلمة مفردة تعني الجمع و فحواها التدرج ، و المقرنص عنصر معماري ذو مصادر إنشائية باعتبار هذا العنصر حلاً ذكياً لمشاكل إنشائية معمارية يصلح لكل زمان و مكان ، و المقرنصة تشبه الصواعد و النوازل و تتوضع في أعلى الجذع بما يشبه التاج ، و قد ظهرت لأول مرة بتجاويفها الرشيقية أيام الدولة الفاطمية في مصر ثم تطور استخدامها حتى شمل أغلب المباني ذات الطابع الإسلامي ، و المقرنصة الواحدة تشبه المحراب الصغير ، و المجموع يشمل على تكرار هذا المحراب بتلاصقه من جميع الجهات مع نفس الشكل ، و قبل البدء بتركيب المقرنصات يعتمد إلى رسم مخططات تفصيلية واضحة و دقيقة حتى تساعد على تصورها و من بعدها تنفيذها بدقة ، و في قصر "الأخضر" الذي بني عام ١٦٠ هجرية في بادية العراق استخدمت مقرنصة واحدة بدائية لم تتكرر بعدها في العراق حتى العصر الفاطمي.

و المقرنصات عملت من وحي التصميم المعماري للمبنى ، و هي التي تلفت النظر إلى جمالية أجزاء المبنى الرئيسة ، و باعتبار أن قوة العمارة و مكانتها تقدر في مدى التجانس بين الإنشاء و الزخرفة ، نجد أن المقرنصات قد حققت هذا التجانس و أعطت المبنى قيمة و جمالية و خصوصية لا مثيل لها ، و تشير أقدم الدلائل في العمارة الإسلامية إلى أن مبدأ "المثلث الكروي" قد ورد في العمارة السورية القديمة ، و يعود الفضل في ابتكار هذا المثلث إلى الأشوريين ، و المثلث الكروي هو الحركة الأولى باتجاه إبداع المقرنصات ، و هو أول محاولة انتقال من الشكل الرباعي إلى المثلث أو الدائرة ، و قد قال جون هوك في كتابه " العمارة الإسلامية " : لم يرد عنصر المقرنص في أي طراز من طرز العمارة في العالم المعروفة إلا في العمارة الإسلامية . أي أن كل ما جاء قبل تشكل العمارة الإسلامية هو محاولات لتحقيق حل معماري إنشائي لم يكتمل إلا مع المهندس المسلم .

مكان توضع المقرنصات :

١-: في الزوايا تحت القباب ..

٢-: تحت شرفات المآذن ..

٣- " فوق المداخل الرئيسية للمسجد..

٤-: في تغطية أسفل العقود (خاصة في المغرب العربي و الأندلس) ..

٥-: في صنع تيجان الأعمدة من الخشب أو الحجر أو الجص..

٦-: في تزيين بعض الأروقة ..

٧-: في المعالجات الزخرفية الداخلية لبعض السقوف و القباب (قصر الحمراء) ..

أنواع المقرنصات :

١-: المقرنص ذو المركزين و الشبيه بالعقد المدبب..

٢-: المقرنصات المدببة و الشبيهة بالعقد المرسوم على زاوية ٣٠ درجة..

٣- " المقرنصات الكبيرة ذات مركزين أو مدببة لغرض هيكلي ..

٤-: مقرنصات بطن العقد و المتكونة من حطة واحدة في محل بداية العقد ..

٥-: المقرنصات المركبة بين أكثر من طريقة رسم ..

٦-: المقرنصات المتدلية ، و تقع عادة في باطن السقف أو القبة أو العقد ..

أشكال المقرنصات :

١-: مقرنصات داخلية غائرة ..

٢-: مقرنصات داخلية نافرة .. تشبه عنقود العنب ..

٣-: مقرنصات أسطوانية رقيقة تشبه الصواعد و النوازل..

٥-:- الزخارف:

إن أروع ما أبدعه عقل المهندس المسلم من مبتكرات في فن البناء هي تلك الأساليب الجديدة التي استحدثوها في فن الزخارف الهندسية و تزيين المباني بهذه الزخارف المتنوعة ، فمن خطوط و منحنيات متشابكة بسيطة ، متعددة الأشكال و المقاييس ، تمكن أن يخلق عالماً رائعاً من الزخارف و النقوش ما زالت تعتبر حتى اليوم (رغم بساطتها) آية من الإبداع و الجمال و الدقة و السحر و العذوبة ، و لا بد أن يكون لتعاليم الإسلام يد في ابتداع هذا الفن ، و عبقرية المهندسين التي حيل بينها و بين الرسم و النحت و التصوير ما لبثت أن وجدت مخرجاً لها في فن الزخارف المعمارية فنبغت فيه و سجلت مآثر خالدة لا تمحى ، و صار فن الزخارف من السمات البارزة التي اشتهرت بها العمارة الإسلامية ، و قد أضافت الزخارف على العمارة الإسلامية طابعاً من الجلال و الأناقة و الرشاقة و الجمال ، ميزها عن غيرها من الزخارف و الطرز الأخرى .

من أساليب الزخرفة التي ظهرت في أوائل العصر الإسلامي كسوة الجدران و الأسقف و الأرضيات بالفسيفساء الزجاجية المكونة من مكعبات صغيرة من الزجاج الملون و المذهب ، و يختلط معه الصدف و قطع من الأحجار و الرخام الملون ، و تلصق هذه القطع بجانب بعضها بحيث يتكون منها موضوعات تشكيلية أو تصويرية تمثل بعض المناظر الطبيعية إلى غير ذلك ، و يذكر المؤرخون أن الواجهات الخارجية لمسجد الصخرة كانت مكسوة بهذا الأسلوب ، كما تدل بقايا الفسيفساء التي كشف عنها مؤخراً في الجامع الأموي في دمشق على أن أوجه الجدران و البائكات و واجهاتها على الصحن كانت مغطاة بالزخارف و المناظر من الفسيفساء ، و يذكر أن مسجد الرسول صلعم أعيد بناؤه أيام عمر بن عبد العزيز والي الحجاز ، و قد زينت جدرانه بالفسيفساء ، و يبدو أن ابتكار الفسيفساء الزجاجي الذي توسع استخدامه في العصر

الإسلامي الأول جذوره تعود إلى العصور السورية القديمة ، و لم يبتكر من قبل الرومان ، لكن الفسيفساء الزجاجي كان يستخدم قديماً على نطاق ضيق ، ثم تطورت تشكيلاته و توسع استعماله في العمارة الإسلامية ، و الزخرفة الإسلامية تعتمد على الوحدات الهندسية التي يقصد من وراء تركيبها بهذه الجمالية الوصول إلى حقيقة لا تتعلق بمكان معين و لا بزمان خاص ، فحقيقة المثلث أو المربع أو الدائرة تظل حقيقة عقلية في تجردها و انطلاقها ، و قد أخذ الفنان المسلم من الطبيعة (الشجر ، والورق ، الغدير ، والأزهار و الطيور و الحيوانات) بعد الإضافة على كل تركيب ما يوحيه له عقله من صور و رسوم لتصوير الحركة على اللوحة حركة متداخلة الأشكال الهندسية ، يرافق هذا التداخل نوتة موسيقية واضحة المعالم صادرة من تفصيلات اللوحة و التي لا نجدها في عناصر معمارية مغايرة ، و الزخرفة الإسلامية بدأت متماثلة في تطبيقاتها ، ثم تنوعت و تعددت مفرداتها ، و تتابعت في تبادل الخطوط المتحركة بديناميكية رشيقة ، و تعانق مستمر ، و تقاطع منتظم ، يشعر المتطلع إلى هذه الزخارف كأنها مجموعة فنية تحوي التاريخ الطويل للأمة الإسلامية من بداياته حتى اليوم ، و تتكرر الصور الجزئية ببراعة و إحساس بالرهبة الدينية و التسبيح و التمجيد للخالق و الاحترام و التقدير للأيدي التي خطت هذا الجمال الأخاذ .

من الظواهر الزخرفية التي بانّت في العمارة الإسلامية و صارت من مميزاتها البارزة و الدائمة " الشمسيات " و هي ألواح من الحجر أو الرخام أو الجص ، وضعت على الشبابيك و تمت زخرفتها بالتفريغ ، ثم أدخلت عليها الزخارف النباتية و تشكيل الخطوط العربية ، و بعد أن كانت الألواح مفرغة تماماً ، أضيف إليها الزجاج الملون (المعشق) ليسد الفراغات ، و لتبرز الزخارف بكامل روعتها و جمال تكوينها ، أما الزخارف من الأشكال الهندسية المنتظمة مثل الدوائر المتشابكة و الأشكال المضلعة و المفصصة فليس لها طابع خاص تتميز فيه ، و يعد الفن الإسلامي الوحيد الذي أختص بنوع من الزخارف الهندسية (الأطباق النجمية) و التي ظهرت في القرن السادس هجري ، و هذا النوع ابتكر و تطور استخدامه من قبل الفنانين العرب المسلمين ، و لا يوجد أي

طراز من طرز الفنون التاريخية قد وصلت فيه أساليب الزخارف الهندسية إلى القمة مثل طراز الزخارف الإسلامي .

في ختام عرضنا هذا لأهم عناصر العمارة الإسلامية نذكر أن بقية العناصر المكونة للعمارة الإسلامية و التي توسع استخدامها ، تعتبر من المكونات الأساسية للعمارة الإسلامية ، و التي أصبحت تعرف بها (الأعمدة ، العقود ، الميضات ، خزن بيت المال ، النقوش و الزخارف ، الأربيسك و الزجاج المعشق ..) . و من الملفت للنظر أن المهندس المسلم كان يعالج تلك العناصر و الوحدات المعمارية بطرق خاصة مميزة ، مما أدى إلى وضعها في قالب واحد ، و شكل له صفات تميزه عن غيره ، و هذا ما أطلق عليه (العمارة الإسلامية) تلك العمارة التي نالت احترام و تقدير الأوساط و الهيئات المهتمة بالتراث المعماري ، و التي تطالب بالمحافظة على هذا التراث و صيانتته من العبث و التخريب ...

يتضح مما سبق ذكره أن كل الجهود الجبارة و المحاولات اليائسة الهادفة إلى محاولة تغطية مرجعية عناصر العمارة الإسلامية و جذورها ، و التأكيد على أن العمارة الإسلامية عبارة عن مجموعة عناصر منقولة من عدة عمارات سابقة ، و لا يوجد عمارة من صنع المسلمين و لقد اتضح من التحاليل العلمية الجادة للعمارة الإسلامية ، إن الادعاء بأن العمارة الإسلامية عبارة عن شذرات فنية جمعت كيفما كان من مختلف الأنحاء ، و العرب قوم لا يبدعون ، إدعاء لا سند تاريخي له و الحقيقة أن العمارة الإسلامية من صنع المهندسين المسلمين ، و ربما استخرج هؤلاء المهندسون من تراثهم القديم أغلب العناصر المعمارية ، مع إضافة الكثير من العناصر الجديدة ذات الأشكال المتطورة و التي أبدعها عقل



نقوش و زخارف إسلامية (جامع قرطبة).

تأثر العمارة الأوروبية بفن العمارة الإسلامية:

بلغ الإعجاب بالعمارة الإسلامية حداً جعل الإمبراطور البيزنطي "تيوفليس" لأن يرسل سفيراً في القرن التاسع ميلادي إلى بغداد و يكلفه بدراسة فن المعمار الإسلامي ، و قد نقل هذا السفير معالم كثيرة من العمارة الإسلامية ، و استخدمها في قصر الإمبراطور القريب من أبواب "القسطنطينية" عام ٨٣٥ م حتى صار شبيهاً بقصور بغداد ، و من المباني التي تأثرت بالعمارة الإسلامية " كنيسة الكابلا بلاتينا" و قد زخرت بالفسيفساء ، و أيضاً يمكن مشاهدة التأثير الإسلامي في "مونت سانت أنجلو" في الأقواس التي تصل جوانب القبة ، و في النقوش

الموجودة في " سان ليونارد دي سبونتو " ، و في أعلى تيجان أعمدة المنبر في الكاتدرائية الكائنة في " بيلونتو " و كذلك في "باري" و في مداخل الأبواب في " نيس " و يوجد في "سان جيوفاني بكورتر" نتوء من الرخام به أسدان متقابلان على نمط الموجود في شنيون و هو عبارة عن رخام منسوج عليه أزواج من الفهود .

الطراز العربي في " صقلية " موجود في أنحاء " كامبانيا " ، و لا يزال باقياً فيها زخارف متعددة الألوان و أبراج الكاتدرائية التي تعتبر شاهداً على تأثير الفن الإسلامي ، و شمالاً هناك قصر بني في القرن الحادي عشر ما زال يدل بتفاصيله المعمارية على الأصول العربية التي تشكل منها ، و من أشهر العماثر التي تأثرت بالعمارة الإسلامية " كنيسة القديس ميشيل " في مقاطعة " لوبوي " ، و الزخرفة المتعددة الألوان على الجدران الخارجية و المداخل تشير على أنها اقتبست عن الجامع الكبير في "قرطبة" ، كما أعجب الإيطاليون بعمارة المنارات المصرية و السورية ، فأخذوا عناصر منها و أدخلوه في أبراج الكنائس ، و كذلك أخذوا أسلوب التتابع للطبقات الأفقية من أحجار قاتمة و أخرى زاهية ، و كذلك ظهر في جنوب " فرنسا " نصوص و زخارف اشتقت عن الكتابة الكوفية ، و الزخارف المشكلة من النباتات و سعف النخل ، كما يظهر التأثير الإسلامي في بعض العماثر البولندية (مقرنصات ، زخارف ارابيسك، رسم وريقات الشجر ذات الفصوص..) و ذلك في الكنيسة الأرمينية في مدينة " لوفوف " التي بنيت في النصف الثاني من القرن الرابع عشر ميلادي ، هذا و قد استخدمت فيها العقود المدببة التي ظهرت منذ القرن التاسع ميلادي في مسجد " ابن طولون " .



البيت السكني:

لقد وردت كلمة بيت في اللغة السومرية بلفظة (أي) التي تدل على المنزل و القصر و المستودع ، و المعبد .. الخ ، كما يطلق على أي مكان يوضع فيه أشياء معينة ، أو يمارس فيه نشاط كالمدرسة " بيت

الألواح" يقابلها في اللغة الأكادية كلمة "بيتيم" وتعني (المنزل و المعبد و حظيرة الحيوانات) ، و تضاف كلمة " بيتيم" إلى كلمات أخرى فتعطي معاني أوسع من البيت والمسكن ، و في العربية تعني كلمة " بيت " كل إطار مسقوف إن كان من الصوف أو الشعر ، و سمي بيت لأنه مكان يبات فيه ، و تطلق كلمة بيت على أشياء تشبه ما ذكر ، (بيت الساعة ، و بيت الإبرة ، و البيت الحرام ، و بيت المقدس ، و بيت المال ..) ، و بيوت العرب ستة (آدم و مظلة من الشعر ، و خباء من الصوف ، و يجاد من وبر ، و خيمة من شجر ، و قنة من الحجر ، و سوط من شعر ..) و البيت من الشعر ما زاد على مقطع واحد ، و بيت الرجل داره و مسكنه ، المنزل هو الدار ، و النزول و الطول ، و المنزل أسم لما يشتمل على غرف تسكنها العائلة ، و الدار اسم جامع للبناء و هو من دار يدور لكثرة حركة الناس فيه ، و الدار اسم لكل ما اشتمل على بيوت و منازل ، و صحن الدار (الفناء غر المسقوف من البيت)، و البيت حكماً في اللغة العربية يجب أن يكون مسقوفاً ، و اختلفت الأسماء تبعاً لمادة الصنع و السمة ، و عرفت العرب من القديم البيوت المبنية من الحجر ، و أظهرت التنقيبات الأثرية في مدن العصر البابلي القديم نماذج من البيوت منها البيت البسيط و الصغير الذي يقابل اسم البيت في العربية ، و هناك الأنواع النموذجية من البيوت البابلية التي توافق مصطلح المنزل العربي ، و البيوت البابلية المركبة يمكن أن تقابل مصطلح " الدار العربي" ، مع أنه قد يوجد في البيت العربي صحن مسقوفة على ارتفاع أعلى من سقف الطابق الأرضي ، بينما في البيوت البابلية لا توجد مثل هذه الصحن المسقوفة .

البيوت في سورية القديمة على أربعة أنواع :

١-: بيت الشعر(مصنوع من وبر الجمال ، و خيوط الصوف و القطن) ..

٢-: بيت من الحجر و هو موجود في جميع المناطق السورية .

٣-: بيت مصنوع من الطين و هو يكثر في المناطق الريفية بعيداً عن المدن .

٤-: بيوت مشتركة من الطين و الحجر و هذه النوعية موجودة في المدن و الريف .

البيت السكني يهتم براحة سكانه ، راحة مادية و نفسية ، و يوفر لهم الخصوصية التي ينشدوها ، و يراعي في تصميمه جودة الإضاءة و التهوية السليمة ، و الحرارة و توزع الصوت ، و يهتم بالتقريب بين السكان و روابطهم الأسرية داخل البيت ، و الروابط الاجتماعية مع الجيران و ما حولهم ، و الحفاظ على بيئة سليمة ، بالإضافة للوضع الاقتصادي الخاص بالسكان ، و لهذا هو يتمتع بالأسقف العالية ، و الغرف الواسعة المريحة ، و الأبواب الكبيرة و المزخرفة ، و الشرفات المريحة ، و لذلك يجب أن يكون البيت السكني بيتاً صحياً ، تتوفر فيه كل ما ذكرناه .

البيت الريفي:

مهما ارتفع الإنسان ببنائه ، و مهما علا بسكنه إلى ما فوق السحاب ، يبقى ضمن ذاكرته الإنسانية ، الحنين إلى السهول و الروابي و الأمكنة التي تربى فيها ، و تعامله معها ، و نومه في هدوءها ، وفي حضن الطبيعة الخلابة برائحة زهورها ، و اخضرار أشجارها ، و أصوات المياه الجارية ، و الطيور المغردة ، و الهواء النقي ، و حوله البيوت المتمثلة و التي تشكل بيتاً واحداً لعائلة واحدة ، يجمعها السعي وراء المستقبل و ما فيه من مفاجئات سارة أحياناً و محزنة أحياناً أخرى .

و الحياة الريفية العادية تعني (المجتمع المشترك) ، حيث يرتبط الفرد باهتمامات الجماعة أكثر من اهتماماته الشخصية .

إن نشأة القرى و التجمعات التي هدف إليها الإنسان القديم ، ترجع إلى حوالي ٨٠٠٠ ق.م ، حيث وجدت مجموعة من المنازل الريفية في العراق (شانيدار) و في سورية حوالي ٦٠٠٠ ق.م ، و قد استخدم الطين المضغوط في بناء جدرانها و جذوع الأشجار و الأوراق لتغطية الأسقف ، و تنوع وجود القرى المشادة على ضفاف الأنهار و البحيرات ، و بين الواحات ، و سفوح الجبال الغنية بالمواد الغذائية ، و هذه البدايات هي نتاج الطبيعة التي تظهر أن الزراعة و الري يؤديان إلى استمتاع الإنسان بفترات طويلة من الفراغ ، فالعمل في المزارع يقتصر على مواسم معينة، و الشتاء طويلة ليليه، و أيامه أطول و فيه فترات راحة من العمل كثيرة.

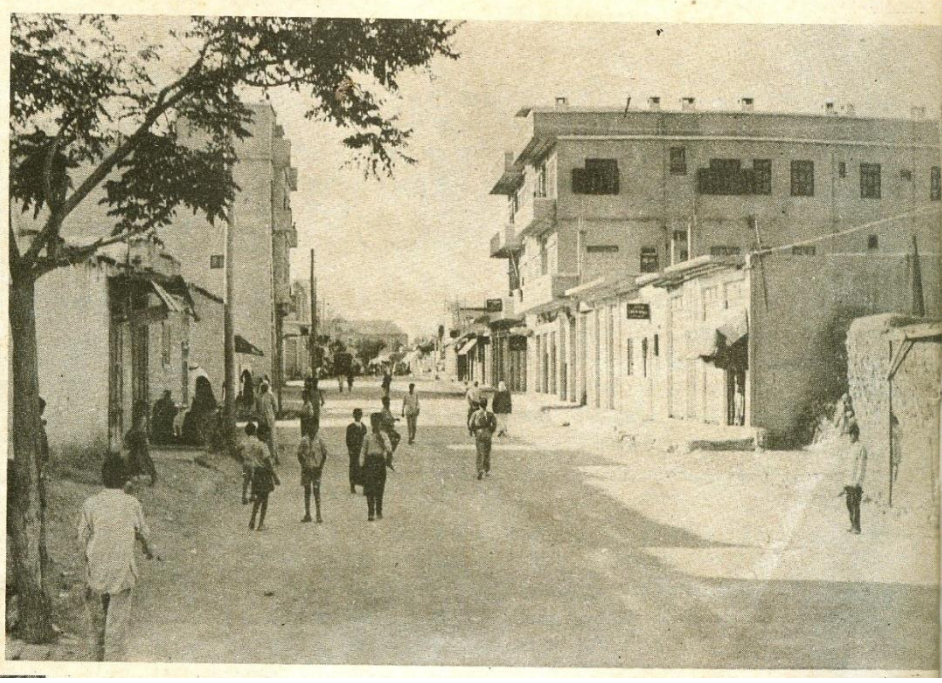
من أبرز سمات العمارة الريفية تناقضها مع عمارة المدن ، و هي عمارة محافظة على تقاليدها ، و تطورها قليل و بسيط قد لا يلاحظ خلال قرون ، و العمارة الريفية سهلة التكوين و هي بعيدة عن التعقيد ، البهجة و الزخرفة نادرة فيها ، همها الأول تلبية حاجات الإنسان الريفي قبل كل شيء ، تتشكل بتأثيرها بمهنة الإنسان الريفي و حاجاته الخاصة ، و رغم توالي السنين ، و مرور القرون العديدة و الأزمات الكبيرة ، بقيت العمارة الريفية بعيدة عن المتغيرات التامة، و ظلت محافظة على عناصر و طرق تشكيلها لخدمة البيئة و نقاوة الريف ، مما أعطى الأخير بيئة نظيفة جيدة الهواء و الخضرة و عذبة المياه ، و لأن الإمكانات المادية في الريف السوري متواضعة جداً ، و ريفنا مكان مناسب لإراحة النفس و الهدوء ، لذا يفضل أن تقام فيه مراكز سياحية ، و مصانع تناسب الإنتاج الزراعي ، و هذه المشاريع توفر الفرص المناسبة للعمل و لزيادة دخل الفرد ، مما يحد من تدفق أهل الريف على المدن و ما يسببه من مشاكل تؤثر على المدينة ، و الريف الذي سيفتقد اليد العاملة مما يؤثر على قدرة الإنتاج الزراعي ، بالإضافة لحملات تثقيفية هدفها توعية ابن الريف و دعوته للتمسك بالأرض و البقاء فيها ، مع تسهيل هذه الإقامة بمنح ابن الريف المساعدات الضرورية لتمكينه من العيش بكرامة و

عنفوان ، و إذا أقيمت القرية التي تحقق للمزارع و الفلاح ذاته قبل كل شيء ، و تأمين احتياجاته ، و تعليمه و تدريسه في مدارس و جامعات تأتي إليه و لا يذهب إليها، فسوف تتحرر كل قدراته على الإنتاج و الإبداع ، و يبقى ابن الريف الرافد الأساسي للسوق من أغذية و إنتاج غذائي ، و ليساهم ابن الريف برفع المستوى الثقافي و العلمي و الفكري للوطن و من ثم للريف الذي أحتضنه ، مع إبقاء الريف على خصوصيته و عاداته و تقاليده الواقعية و الجيدة ، و أهمها تماسك أبناء الريف و تعاونهم في شتى مجالات الحياة و ديمومتها ، و لتبقى العمارة الريفية بجمالها و بساطتها و صفاء روحها .

أسباب أعمار سلمية الحديثة:

في القرن الحادي عشر هجري سيطر الأمير فخر الدين المعني أمير جبل لبنان على حمص و حماه، و قد حالفه الموالي آل أبي ريشة و ظلوا في جهات سلمية ، حتى غزتهم قبائل شمر النازحة من نجد طلباً للمرعى و السكن في سلمية نظراً لخصوبة أرضها و وجود المراعي الجيدة فيها ، و دامت المعارك بين الطرفين مدة عشرة أعوام انتصر فيها الموالي و أجبروا شمر على النزوح إلى الجزيرة . و في أواخر القرن الثاني عشر الهجري ، أغارت قبائل عنزة على الموالي المقيمين حول سلمية مما اضطرهم للنزوح نحو الشمال ، و ظلت سلمية مرتعاً خصباً للقبائل البدوية حتى عاد إليها أبناؤها بقيادة الأمير إسماعيل بن محمد بن سليمان سنة ١٨٤٠م في عهد السلطان العثماني (عبد المجيد) ، بعد معاناتهم الكبيرة و تشردهم في مختلف الأراضي السورية إثر مطاردة الدولة العثمانية لهم بعد ثورتهم على السلطات العثمانية نتيجة لازدياد الضرائب ، و بعد هجومهم على القوات العثمانية المتمركزة في ناحية "القدموس" و قتلهم مدير ناحيتها ، حانت الظروف و بتوسط أحد المأمورين (طاهر باشا) لدى الباب العالي لإصدار عفو خاص عنهم و السماح لهم بتعمير مدينة يقطنون فيها شرقي نهر العاصي ، و فعلاً صدر العفو الخاص (ومن الجندية و الضرائب) محدداً المنطقة المسموح الإقامة فيها بين شرق العاصي و غرب البادية، جاءت الفرصة المناسبة للعودة إلى المدينة ذات المكانة الخاصة لديهم باعتبارها منبعاً للفكر الفاطمي و مركز انطلاق الإمام إلى إقامة الدولة الفاطمية في شمال إفريقيا ، و كانوا يعلمون موقعها إلا أنه اختلط عليهم الأمر حين وصولهم إلى المشرفة

المشابهة لها ، لوجود الآثار فيها و الخرائب و وفرة مياهها و خصوبة أرضها ، و بسرعة اكتشفوا الخطأ ، فشدوا الرحال ثانية باتجاه الشمال بعد الاستفسار عن موقع سلمية من ساكني المناطق المجاورة للمشرفة ، و صلت القافلة إلى مشارف سلمية مساءً ، و استقروا داخل القلعة فترة من الزمن ثم بدأ التوسع في العمران و خاصة عندما بدأت جموع أهلها بالوصول من مختلف المناطق التي كانت قد هاجرت إليها كما ذكرنا سالفاً ، ثم بعد مرور السنين انتشروا إلى القرى المجاورة فعمروها ، و في سنة ١٩٠٠م جعلت الحكومة التركية سلمية مركز قضاء ، و ألحقته بمتصرفية حماه . و حول هجرة العودة قال (وصفي زكريا) في كتابه المعروف - جولة أثرية- : جعلتهم يرنون نحو سهول شرقي العاصي في لهفة ، و يترقبون الفرصة ليعمروا سلمية ، إحياء لبلدة كانت منشأ شيعتهم ، و لما رأوا أن سلمية خلت من أعراب الموالي ، و استتب الأمن في عهد السلطان عبد المجيد ، طلبوا من الدولة بلسان أحد أمرائهم ، و كان من إحدى ضواحي قلعة الخوابي و اسمه إسماعيل ، أن يعمروا سلمية الخربة ، فسمحت الدولة لهم بذلك و أيدتهم على أن يسموها (مجيد آباد) فجاء هذا الأمير و نفر من عشيرته الأقربين إلى سلمية ، بين أعوام (١٢٦٠ و ١٢٧٠) هجرية و اعتصموا بادئ ذي بدء في الحصن (الذي هدم و بني مكانه دار للحكومة) ص ٢٧٧ . ظل الأهالي ينعمون بالرخاء و يعمرون القرى و الدساكر إلى أن بادرت السلطات التركية باعتقال جميع زعماء السلمية ، و أغلقت المساجد و حرمت عليهم مزاوله نشاطهم الديني ، فصارت الصلاة تقام في أوقاتها بالسر و أحياناً في أماكن تحت الأرض. و تم تقديم الزعماء و المشايخ المعتقلين للمحاكمة العرفية في دمشق ، و قد مات بعضهم في السجون ، و بقيت الأمور على حالها من الاضطهاد و ملاحقة الحكومة لأبناء "سلمية" ، و صادرت أموال الزكاة و كانت تقدر بحوالي عشرين ألف ليرة ذهبية سنة ١٩١٠ م . و تدخلت السلطات الدولية مع الحكومة التركية ، حيث وافقت الأخيرة على الإفراج عن الأموال ، التي صرف قسماً منها على بناء المدرسة الزراعية ، تم أعمار عدداً كبيراً من المدارس في منطقة السلمية مما أتاح الفرص للطلاب لنيل العلوم و المعارف المتطورة ، و قد انعكس هذا على عموم المجتمع فأصبحت سلمية(و بفترة وجيزة) مركزاً لتطور العلم والمعرفة، واليوم صارت فيها أغلبية الشباب و الشابات من حملة الشهادات العلمية الرفيعة و المميزة .



سلمية ١٩٦٤م (شارع حمص)

جغرافية مدينة سلمية:

تقع سلمية إلى الجنوب الشرقي من حماه ، و تبعد عنها بمسافة ٣٣ كلم تقريباً ، و شمال شرق حمص و تبعد عنها بمسافة ٤٥ كلم ، و تشكل المدن الثلاث مثلثاً متساوي الساقين قاعدته (حماه . سلمية) ، و يتميز موقعها الجغرافي بأهمية كبيرة فقديماً كانت تقع على الخط التجاري القادم من الشمال إلى الجنوب و بالعكس ، و بالخط الذي يربط الساحل مع الداخل ، و لذلك كانت محطة هامة لهذه القوافل التجارية ، و في

الوقت الحاضر ازدادت أهميتها ، وموقعها على تخوم البادية أعطاها الفرصة لتصبح مركزاً تجارياً هاماً ، و لتصير حلقة وصل بين البادية و المدينة ، و سلمية تعتبر الخطوة الأولى نحو المدنية والحضارة ، و هي سوق واسع يرتاده أبناء البادية ، و محطة قيمة للقادمين من الريف الشرقي و الشمالي ، و مدينة سلمية عبارة عن حوضه محاطة بالمرتفعات من معظم جهاتها و تكون وحدة تضاريسية قائمة بحد ذاتها ، و تشكل خط التماس بين الأراضي المروية و الأراضي الجافة .

مناخ منطقة سلمية متوسطي شبه جاف ، صيفها حار و جاف، و شتاؤها بارد و ماطر ، و تتقلب فيها كميات الأمطار حسب سيادة الضغوط الجوية المرتفعة و المنخفضة ، و عندما تسود الضغوط المنخفضة الغربية و الشمالية الغربية و الجنوبية الغربية القادمة من البحر الأبيض المتوسط تتعدل فيها كمية الأمطار ، أما عندما تسود الضغوط الجوية المرتفعة القادمة من الشمال و الشمال الشرقي (الرياح القطبية و السيبيرية يسود الجفاف و الصقيع) و يتأثر مناخها بوجود الجبال الغربية فتمنع أو تقلل من وصول الرياح الغربية الرطبة إلا بعد تفريغها من معظم رطوبتها على المناطق الجبلية الغربية ، أمطارها حوالي ٣٠٠ مم ترتفع و تنخفض حسب السنين الماطرة أو الجافة و تنتزع الأمطار توزيعاً غير عادل على أشهر السنة ، و هذا التوزيع غير ثابت ، الصيف حار و طويل و متوسط الحرارة في شهر تموز ٣٥ درجة و تقفز أحياناً فوق الأربعين، و تنخفض في الشتاء حتى تصل ستة درجات تحت الصفر .

(هذا النص نقلاً من كتاب "سلمية المعاصرة" إصدار جمعية العاديات بالتعاون مع مجلس مدينة سلمية و هو من الباب الأول، إعداد كل من : الأستاذ محمود عاشور. و الأستاذ حسن القطريب .. بتصرف).

العمارة السكنية في منطقة سلمية:

عرفت العمارة السكنية في سلمية منذ آلاف السنين ، و قد وجدت آثار قديمة تؤكد ذلك ، و منها نموذج لبيت مؤلف من طابقين (مصنوع من حوالي ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد) و قد وجد هذا النموذج أحد علماء الآثار في إحدى جولاته التنقيبية في منطقة سلمية أوائل القرن الماضي ، و لا يزال هذا النموذج في متحف حلب حتى الآن ، و منذ ذلك التاريخ لم تخلو سلمية يوماً من السكان، و ازدهرت سلمية عمرانياً لمرات عديدة تخللها فترات قليلة تهدمت مبانيها نتيجة الكوارث الطبيعية و الحروب في المنطقة ، و من الطبيعي أن تكون سلمية في منتصف دائرة الحروب القديمة نتيجة موقعها الاستراتيجي بالنسبة لكثير من الحضارات التي نشأت في سورية ، و من أهم الآراء الحديثة التي تقول إن سلمية القديمة و قبل الميلاد كانت منطقة وسطية تشكل نقطة التقاء تجارية

للمناطق الساحلية و المناطق الصحراوية و المناطق الجنوبية (قطنه) مع المناطق الشمالية و الممالك التي قامت في الجزيرة السورية ، و على الأغلب معظم الحضارات عرفت سلمية و تعاملت معها ، و ربما كان اسمها قديماً يختلف عن الاسم المعروف حالياً ، غير أنها بالتأكيد كانت منطقتها عامرة و متطورة و الكم الهائل من الآثار الموجودة تحت أرضها ، و على سطحها يعطي فكرة عن مكانة هذه المنطقة ، و ربما الاكتشافات القادمة ستظهر و تؤكد هذه الآراء بأن الإنسان القديم قد أحب هذه المنطقة و عاش فيها و بنى معالم معمارية هامة عليها .

عرفت سلمية الحديثة منذ عام ١٨٤٨ م ، يوم وصلت إليها أول قافلة من العائلات القادمة من المنطقة الغربية ، و التي سكنت القلعة (أعيد بناء هذه القلعة عام ٣٥٠ هجري بعد تدمير سلمية عام ٢٩٠ هجري من قبل القرامطة) ، و من ثم خرجت بعض العائلات للسكن داخل الحمام الأثري ، بعد إعادة تأهيله للسكن (حيث كان بناؤه سليماً وهو الذي رمم أيام الفترة الأيوبية ، فبقيت حالته مقبولة) ، و لما تتالي قدوم العائلات إلى سلمية ضاقت الأمكنة بسكانها ، فعمد قسم من السكان إلى البناء خارج المقيمين ، و قريباً منهم بدأت القباب الطينية بالظهور و بعض البيوت التي بنيت من حجارة القلعة (سور ، و بعض و حداتها الفرعية) و تم تسقيفها من جذوع الأشجار التي وجدوها في سلمية ، و كان البناء يتم بشكل عشوائي قبة بجانب غرفة حجرية ، و غرف متداخلة مع القباب ، و لا يوجد حدود بين الوحدات المعمارية المبنية مع بعضها البعض ، و مع توافد الأهالي على دفعات ظهرت البيوت الضامة لهؤلاء القادمين من الأراضي السورية إلى سلمية بلد جماعتهم و أقربائهم ، و استمرت تنمو تحت قيادة باني سلمية الحديثة (الأمير / إسماعيل بن محمد) هذا الشخص الذي غيبه التاريخ و لم يعد يذكره أحد، و دخل عالم النسيان هو و أعماله الخيرة و الكبيرة و التي ساعدت على بناء سلمية و استمرارها لليوم ، و كم كنا نتمنى لو تم ذكره يوم احتفلت سلمية بمناسبة مرور مئة وستين عاماً على تأسيسها ، و من باب الوفاء لهذا الرجل أن يسمى معلم من معالم سلمية باسمه ، لعل ذلك يتحقق يوماً، و لم تمضي سنوات قليلة حتى فاضت سلمية بأهلها و قدم إليها الكثير من أصحاب الصناعات المتنوعة ، و منها صناعة بيت السكن ، و غادر قسم من الأهالي سلمية

غرباً و شرقاً و جنوباً و شمالاً لبناء القرى و المزارع في منطقة سلمية و كان اختيارهم لمكان القرى ، يتم حسب وجود الأراضي الخصبة و الينابيع الكثيرة ، فتشكلت تجمعات من القباب الطينية في كل مكان مناسب اختاروه ليكون أساس قرية نمت و كبرت و انفردت عن سلمية و عن غيرها من القرى ، و صارت قرى اليوم أشبه بالمدن بعد توفر كل احتياجات ساكنيها .

إن أغلب المباني السكنية في سلمية البداية تشكلت من القباب الطينية ، تلك القباب التي ظهرت على الأرض السورية منذ آلاف السنين ، و هذه القباب معروفة في كل مناطق سورية ، و لا تختلف عن بعضها إلا قليلاً و حسب طبيعة المنطقة المقامة فيها ، و وفرة موادها الأولية ، و لم يتغير شكل القباب كثيراً ، و لا طريقة البناء و لا نوعية المواد المشكلة لها ، و بناء القبة الطينية سهل إذا ما قورن بالبناء ذي الشكل الرباعي ، و كذلك تكلفة أعمار القبة تلك الأيام شبه معدومة لتعاون السكان على بناء القباب ، هذا التعاون كان ضرورة حتمية يلتزم بها كافة الجيران و الأقارب حتى يتم انجاز المسكن المراد إنشاؤه ، و هذا التعاون أدى إلى صمود سكان سلمية الأوائل في وجه الأخطار و مجابهتها سوية متوحدين أمامها بموقف واحد ثابت ، و راسخ لا يتغير ، و التعاون في الريف ضرورة معيشية لا يستطيع أحد رفضها ، و التعاون يجب أن يكون في كل المجالات و الظروف ، و بناء القباب كان يشكل عرساً في المجتمع نتيجة عمل الرجال و النساء سوية و بهمة عالية من البداية حتى إتمام القبة و سكنها خلال فترة زمنية قياسية ، و كما هو معروف عن الإنسان الريفي شدة تعلقه و التصاقه بالأرض و انسجامة مع الطبيعة ، لذلك تأثر أسلوبه في إقامة مسكنه الريفي بهذا الالتصاق ، فمن الضروري أن يحتوي المنزل على وحدات سكنية مفتوحة على كل الجهات ، لا أسوار لها تعزلها عن الجيران ، و تقلل من تأثير أواصر القربى بين معظم السكان ، و أغلب الأوقات يكون سكان القرية الواحدة من نفس العائلة ، و الأسوار تعتبر حواجز طبيعية و نفسية لا يرغبها و لا يميل إليها أهل الريف ، بينما في المدينة هناك ضرورة للاستقلالية في البيوت نظراً لأن المدينة تحوي الغريب و القريب ، و وجود الأسوار العالية تعطي الأمان و الراحة لساكنيها ، و سكان المدن الغالب على

مهنهم (الصناعة ، و التجارة) أي الأمور المادية هي السائدة في المدينة ، بينما أكثر المهن في الريف (الزراعة و تربية الحيوانات و الطيور) ، لذلك تكونت العمارة الريفية على أسس و قواعد زراعية فرضت نفسها على التكوين المعماري للبيت الريفي ، فهناك وحدات داخل البيت مخصصة للحيوانات ، و أخرى للطيور الداجنة ، و مستودعات للعلف و البذار ، و يتميز البيت الريفي بوجود غرفة خاصة لخرن المواد الاستهلاكية ، يصنع داخل هذه الغرفة ما يسمى بالحاصل و هو عبارة عن بناء مؤلف من الطين على شكل صندوق ، على طول الجدار ، و بعرض لا يتجاوز المتر ، و بارتفاع لا يقل عن مترين و نصف ، جدرانه رقيقة ، و فيه فتحة من الأسفل تغلق على شكل باب ، و فيه فتحة بالسقف لوضع القمح أو الطحين و باقي البقوليات ، ثم تطور هذا الحاصل ليصنع من الخشب لوضع نفس المواد ، و بعدها استبدل الحاصل الخشبي بأخر مصنوع من التوتياء ، يوضع فيه بالإضافة لما ذكر السمن و الزيت ، نريد أن ننوه إلى أن الحاصل الواحد توضع فيه مادة واحدة فقط ، و بعض الحواصل كان يقسم شاقولياً ليتم وضع مادة واحدة في كل قسم ، هذه الوحدات المعمارية ضرورية لكل بيت سكني في الريف ، و هي أمكنة ثابتة محمية من تأثير الطقس و الإنسان عليه ، و هذه الأمكنة أغلبها بيت المدينة لا يحتاجه ، و ليس ضرورياً لديه ، إن استمرارية الشكل المعماري للبيت الريفي منذ القرن الثامن عشر و حتى اليوم ، تعطيه نوعاً من الأصالة المعمارية ، و تمنحه خاصية صارت تعرف بالعمارة الريفية ، و في منطقة سلمية و قراها يمكننا رؤية بيوت نماذجها قديمة و لكنها مبنية حديثاً ، أو من سنوات ليست بعيدة ، بينما تطور البيت في المدينة تطوراً سريعاً ، و خاصة بعيد دخول البيتون المسلح إلى ميدان البناء و العمارة ، فأصبح هو الطريقة الوحيدة المستخدمة في بناء البيوت ، و باقي المواد الأساسية (كالحجر و الخشب) صارت للزينة و الديكور فقط ، انتشر البيتون و تنوعت تصاميمه بسرعة ، صحيح أنه تعددت تصاميم البيوت في المدينة غير أن الاختلافات بين تلك البيوت بالتفاصيل و ليس بالشكل العام ، و الغالب على هذا الشكل استقلالية كل بيت أو كل شقة سكنية ، عن غيرها تماماً ، و هذه الأيام بتنا نرى أن الريف لم يبتعد عن عمارة البيتون المسلح ، و لم يصمد أمام تطور نظام

المباني بل أصبحت نظم البناء بالبيتون المسلح هي الغالبة على البناء الريفي ، و للعلم هذه الأبنية البيتونية غير مكتملة العناصر ، و من النادر رؤية بيت في الريف مبني من البيتون المسلح مكتمل البناء ، و جدرانه مغطاة بالتليس أو بالحجر ، و حماماته جدرانه مركب عليها سيراميك أو بورسلان ، أو مطبخه يحتوي على مجالي و رفوف رخامية ، و هذا يدل على أن البيت الريفي هو نسخة مشوهة عن البيت في المدينة و عمارته التي جاءتنا من البلاد الغربية في مطلع القرن الماضي و انتشرت في كل المناطق السورية ، و صار المهندس المصمم لا يقدر عن الابتعاد عنها مهما حاول ذلك و الأسباب أغلبها مادي صرف .

يختلف بناء القرية باختلاف المناطق ، فهو في الجبال غيره في السهول ، و في أطراف الصحراء غيره على ساحل البحر ، و القاسم المشترك بين كل أبنية المناطق هو تركيز المساكن و الدكاكين و المباني العامة في الوسط ، ثم تتشعب من هذا المركز قطع صغيرة من الأرض المزروعة و التي ستتحول مع مرور الأيام و تطور الحياة إلى أراضي قابلة للأعمار و السكن ، و أغلب القرى كثافة سكانها قليلة إذا ما قورنت بكثافة سكان المدن ، و العلاقة في القرى هي علاقة خاصة بين الماء و الأرض و الإنسان و الطبيعة و النبات و الحيوانات ، و هذه العناصر اجتازت أواخر القرن الماضي مرحلة تغيير سريعة بعد سنوات من الركود المعماري .

البيت في سلمية و اختلافه عن البيت في المدينة في النصف الأول من القرن الماضي:

كان البيت في سلمية يمثل بكل جدية العمارة الريفية حتى منتصف القرن الماضي ، و قد لا نجد أي اختلاف بين العمارة في سلمية أوائل القرن الماضي عن مثيلتها في منطقة الجزيرة السورية ، أو في المنطقة الجنوبية لسورية ، و على الأغلب كانت الفروق بينها قليلة جداً ، و غير

مهمة في الميزان المعماري ، و البيت في سلمية قد تختلف نماذجه قليلاً إلا أنه يبقى ضمن نطاق البيت الريفي .

عمارة البيت في المدينة :

من الطبيعي أن تتغير العمارة في المدينة و تتبدل مظاهرها ، فالتطور ضرورة حتمية تفرضها زيادة عدد السكان المستمرة ، و حاجة هؤلاء السكان لبيوت يعيشون فيها ، لم يعد المنزل في المدينة جميلاً كما أن قبل دخول البيوت المسلح ، و الأسباب التي أوجبت أسلوب عمارة البيوت القديمة زالت اليوم ، و أصبحت ميزات البيت القديم عبئاً عليه و على المهندس المصمم ، و اليوم لا يقدر المهندس المصمم أن يبتكر بيتاً يخلو من الشبابيك المطلّة على الشارع ، و هل يقدر هذا المصمم على جعل ارتفاع جدران الغرف يتجاوز الأربعة أمتار، فهذه الارتفاعات صارت غير ضرورية و لا تنطبق مع النظم و القوانين ، و بهو البيت لم يعد ضرورياً خاصة بعد أن صارت قيمة الأرض غالية جداً إذا ما قورن ذلك مع سعرها قبل سنتين عاماً ، و مع كل هذا علينا الاعتراف بفضائل كثيرة للبيت القديم في المدينة ، و فوائد هامة لا تخفى على أحد ، فأسلوب العمارة القديمة له تفاصيل تخدم الإنسان و البيئة ، منها (جدران سميكة و عالية لها ضرورة أمنية أولاً و ثانياً تعطي الاستقلالية حيث هي حجاب معماري يتمتع أهل الدار داخله بكامل حريتهم و استقلاليتهم ، و متى أغلق باب البيت المطل على الشارع أصبح سكانه في عالم آخر ، عالم خاص بهم بعيداً عن أعين الفضوليين ، يرتاحون في بيوتهم إلى جانب نافورة المياه التي تتوسط حكماً فناء البيت ، و النافورة يظل لها أوراق أشجار الياسمين و النانرج و الليمون و على حوافها أصص الورود و الزهور) و في الشتاء غرف البيت دافئة ، و في الصيف الحار تبقى أرض الديار الواسعة باردة و هواؤها عليل يلطف جو البيت .

أقسام البيت في المدينة :

١- **الفناء:** أو البهو ، أو أرض الديار ، جزء من البيت يقع عادة في منتصف البيت ، و يمكن أن يكون صحن البيت و الفناء واحد فكليهما ساحة مكشوفة تتوسط البيت مهمة هذه الساحة تأمين الإضاءة لجميع

وحدات البيت ، و توفير الطاقة المستهلكة ، و كذلك تأمين مكان مستقل داخل البيت للمعيشة اليومية ، و خاصة أيام الصيف ، و نافورة المياه التي تتوسط الفناء تعتبر من أهم موجوداته تلك النافورة التي تتدفق مياهها كل اليوم لتعطي للبيت رطوبة تتمازج مع تيارات الهواء فتعطي الراحة و البرودة ، هذا الفناء يعتبر حديقة البيت أيضاً فهو مزروع بالأشجار المثمرة و الورود ، و الأزهار فيه طيلة العام تنشر الرائحة الجميلة ليبقى البيت عطراً طيلة الوقت ، و الفناء مخصص لممارسة النشاطات المنزلية اليومية ، بالإضافة لمميزات يتحلى بها مثل تقليل الضغوط الحرارية على وحدات البيت المحيطة به كما يحيط السوار بالمعصم ، و ذلك لوجود أجزاء كبيرة محمية من أشعة الشمس طيلة ساعات النهار ، و حماية السكان من الضوضاء الخارجية أثناء جلوسهم حول النافورة .



٢- الدهليز : هو ممشى طويل بين الغرف و منه تتفرع الممرات و الأروقة المسقوفة ، و هو يصل ما بين الباب الخارجي و داخل البيت ، و

أول ما يفتح الباب الخارجي على جدار مواجه له ، و المداخل تكون جانبية ، بحيث لا يرى الناظر من الباب للداخل بهو البيت ، و هذا النظام مأخوذ من العمارة العسكرية (المدخل المنكسر) هذا العنصر الدفاعي المهم الذي دخل للعمارة الإسلامية في العهد الفاطمي ، و الدهليز يعتبر واجهة البيت الداخلية و عليه تطل الشبايك و الأبواب الواسعة ، و على جدران و أسقف الدهليز كثرت الزخارف و النقوش و المشغولات الفنية ، منها المصنوعة من الأخشاب ، و منها المصنوع من الجص .

٣- **النوافذ و الفتحات :** في بيوت المدينة اعتمدت الفتحات الداخلية الواسعة ، و التي تطل على بهو البيت ، و على الفتحات الضيقة و المظلة على الشارع (المشربيات) و هذه المشربيات تقوم بدور مهم جداً في التخفيف و التقليل من نفاذ أشعة الشمس إلى الداخل للحفاظ على درجة حرارة معتدلة داخل الغرف ، كما أنها تحُد من قوة الإضاءة الطبيعية النافذة إلى الداخل و بالتالي حماية الساكنين من مشاكل الإبهار الضوئي ، و تأكيد عنصر الخصوصية للساكنين مع تمكينهم من متابعة ما يحدث في الشارع مع ضمان التهوية الطبيعية للفراغات الداخلية بالإضافة إلى إضفاء العنصر الجمالي للمبنى بما تحويه هذه المشربيات من ستائر خشبية و زخارف غنية بمادتها و طريقة صنعها (مصبغات)

٤- **الإيوان :** هو من بناء البيت ، و لكنه مؤلف من ثلاثة جدران ، و الجهة الخالية من الجدران تكون مظلة على بهو البيت ، أرضية الإيوان عادة مرتفعة عن أرض الديار ، الإيوان صالة محصورة عادة بين غرفتين يتصل بهما بواسطة أبواب و شبايك ، سقف الإيوان مرتفع و جدرانه عالية بالتأكيد هي أعلى من سقف الطابق الأرضي و في جدرانه فتحات غير نافذة عديدة (خرستانة) و الزخارف و النقوش تزين الإيوان كما تزين باقي البيت ، و هذا العنصر قديم فقد عرف منذ العصر البابلي ، و الإيوان في النظام البابلي أوسع من الغرف التي هي أكبر مقاساً من الغرف الحديثة .

و عرض الإيوان يتراوح بين ثلاثة أمتار إلى أربع أمتار ، و أرضيته من البلاط المزركش.

٥-المرافق العامة:

هي (المطبخ و الحمام وبيت الخلاء) ، كان المطبخ في الريف يخصص له غرفة مسقوفة لها ثلاثة جدران (شبيهة بالإيوان في بيت المدينة) ، و فيه موقدة أو عدة مواقد تعمل على الحطب و بقايا الحيوانات و أغصان الكروم ، و أحياناً يكون التنور داخل هذه الغرفة إلى جانب المواقد ، و الجهة المفتوحة من هذه الغرفة تكون دائماً عكس اتجاه الرياح المألوفة ، و يضم المطبخ الأواني المنزلية ، و مستودعات صغيرة لتخزين الحبوب و الطحين ، و في المدينة كان المطبخ يوضع في أحد أطراف البيت بعيداً عن غرف السكن، و فيه مواقد ، و قد يوجد فيه تنور صغير، و الحمام ضروري للاستحمام في بيت المدينة مع أنه كان يستعاض عنه في أكثر الأحيان بحمام السوق ، و حمام البيت صورة مصغرة عن حمام السوق (فيه موقد ، و أنابيب فخارية لتغذية و تصريف المياه ، الحديقة داخل البيت في المدينة، بينما في البيت الريفي تزرع الأشجار و الورود حول الغرف و بالقرب من البئر ، سطوح البيوت في المدينة متلاصقة مع بعضها بينما في الريف البيوت تكون متباعدة و من النادر وجود بيوت عديدة تعود لأكثر من مالك و سطوحها مبنية بشكل متلاصق .

نماذج البناء للبيت الريفي :

كما ذكرنا سابقاً : إن أول وحدة سكنية بنيت في سلمية خارج القلعة كانت عبارة عن قبة طينية ، و لأهمية القباب الطينية في العمارة الريفية سنحاول إيجاز التعريف بهذا النوع من البناء .

١-القباب :

في أول الأمر قام الإنسان ببناء مسكنه مقلداً في ذلك الطيور في أعشاشها ، و الحيوانات في أو كارهها ، فعمل حفرة في الأرض بشكل دائري ، أو شبه دائري دعمت جوانبها بالأحجار ، و يثبت عليها شكلاً

مخروطياً من فروع الأشجار ، ثم تغطي هذه الفروع بالقش و الطين ، أو بجلود الحيوانات التي أصطادها ، و في سورية و ما بين النهرين ، تعددت أشكال المساكن ، فمنها الدائري ، و شبه دائري ، بالإضافة إلى مساكن تجمع بين المسقط المستطيل و الدائري و معظمها يرجع إلى الألف الرابع قبل الميلاد ، و في العصر البابلي نجد شكل القبة على هيئة جزء من دائرة أعلى المدخل الرئيسي لزيقورات " أورنا مو " بمدينة " أور " و التي ترجع إلى عام ٢١٢ ق.م ، و هناك دلائل و اكتشافات تؤكد أن القبة و خاصة الطينية منها قد وجدت في سورية في فترة زمنية أقدم من هذا التاريخ بكثير ، و لا شك بأن ابتكار نظام القبة هو سوري ، و قد كشفت التنقيبات مؤخراً على وجود القبة في مساكن حضارة حلف ، و هذا يؤكد أن عمرها الزمني يتراوح ما بين (٤٠٠٠ - ٥٠٠٠ سنة قبل الميلاد) و أن وجود القباب الطينية و توزيعها على كامل المناطق السورية ، دليل جديد على معرفة تلك المناطق القديمة بصناعة البيوت الطينية ، و ربما توارثت هذه الصناعة من الأجداد ، و القبة المخروطية الطينية هي أسلوب للبناء التقليدي لتسقيف الغرف دون الاعتماد على الحديد و الخشب ، و مبدأ القبة بسيط و هو بناء مداميك متداخلة و دائرية من اللبن كل واحدة بالمدماك تستند على اللبنة الواقعة تحتها ، بحيث تظل المداميك متوازنة تحت قوة الثقالة و رد فعل المدماك السفلي و كل مدماك يتتناقص بالقطر عن المدماك المستند عليه ، و كلما صغر قطر المدماك ، مال السقف نحو الداخل و تم تضيق الفتحة ، و في ختام الأمر ينعدم قطر المدماك حتى ينطبق على نفسه آخر الأمر و يشكل نهاية مخروط القبة .

لقد اعتمد السكان في سلمية (بداية نشوء العمارة في سلمية) على بناء القباب الطينية بتوزيع أماكن إقامة القباب بشكل غير منتظم ، و تركز البناء أمام المداخل الرئيسية للقلعة ، ثم امتد البناء حول القلعة ، حيث صارت القلعة نواة سلمية التي صارت مدينة بعد عشرات السنين.

القبة المخروطية العادية ، هي أول نموذج تم بناؤه في سلمية ، و هي عبارة عن أساس يقام على الأرض بشكل دائري (أغلب الأحيان) و هذا الأساس يكون من الأحجار المتراسة بينها مادة لاصقة هي نفس الطينة التي يتشكل منها اللبن الطيني ، لكي تزيد تماسك الأحجار و

تراصها ، ثم يبدأ البناء بلبن طيني مقاسه المعروف (٣٥ طول ، ١٨ عرض، ١٠سم ارتفاع) بمداميك دائرية كما ذكرنا سابقاً و مع كل مدمك جديد يضيق قطر القبة و كلما ارتفع البنيان ضاق القطر حتى يغلق في نهاية الأمر ، للقبة باب واحد و عدة فتحات صغيرة تفتح في فصل الصيف و تغلق في فصل الشتاء ، و يلاحظ وجود أحجار بارزة من الجدار من الخارج ، تستخدم كدرج حينما يراد صيانة القبة ، أو حين يراد تغطيتها بخلطة طينية كل عام و قبيل الشتاء ، و مع بداية الصيف تدهن الجدران الخارجية و الداخلية بالكلس المطفاً لتأخذ اللون الأبيض ، و لتعقيم الجدران من الحشرات .

و مع توالي الأيام تطورت القباب إلى مخروطية ناقصة ، ثم جعلت قاعدة القبة على شكل مربع ، و وجدت بعض القباب قاعدتها من الأحجار على ارتفاع مترين ثم تبدأ المداميك بأخذ الشكل الدائري ، و القاعدة الحجرية عملت لتأمين الحماية من الأمطار و السيول القوية ، ارتفاع القبة لم يكن يتجاوز الثلاثة أمتار ، و بعد إضافة القاعدة الحجرية المربعة ، وصل ارتفاع بعض القباب إلى ستة أمتار ، و ظهرت الشبائيك الواسعة في القاعدة المربعة ، و لحاجة الساكن لمساحة أكبر من مساحة القبة الواحدة ، صارت تبني عدة قباب متلاصقة ثم تزال الجدران الفاصلة بينها فتصبح المساحة المستخدمة كبيرة ، و هذا يلاحظ في منطقة الجزيرة السورية ، و في سلمية ظهرت هذه القباب و لكن على نطاق ضيق لاستخدامها أمكنة لاستقبال الضيوف و تأمين مكان إقامتهم .

المواد المستخدمة في بناء القباب:

لقد خلط الأجداد الطين مع التبن و القش و الماء في خلطة مخمرة لعدة أيام (و بذلك كانوا أول من توصل إلى فكرة تحسين مواد البناء بإضافة مواد ثانية لزيادة التماسك) ، و قد استخدم الطين لكونه "غضار" ناتج أصلاً عن تحلل الصخور النارية ، و من بقايا السيول الجارفة للتربة ، و هذا الغضار الناعم من خواصه اللزوجة عند إضافة الماء إليه ، و لون الطين ناتج عن مركباته المعدنية ، و هو عادة يتدرج من الأبيض

الفتاح إلى البني الغامق ، و الطين المضاف إليه التبن المخمر يعتبر من أفضل المواد العازلة للحرارة ، و هو صاحب تركيب معقد يتكون من السليكون و الألمنيوم و الهيدروجين .

بعد أن عرفت فوائد و مميزات الخلطة الطينية استمر استخدامه في سورية ، بل انتشر إلى العديد من دول العالم ، و اليوم هناك حوالي مليار من سكان الأرض يستعملون الطين في عمارة بيوتهم ، و كما قلنا فالجدران الطينية تعتبر عازلاً جيداً للحرارة و البرودة ، و هي سهلة البناء ، و موادها الأولية الطبيعية متوفرة في كل مكان في سورية ، و هذه المواد تعتبر من أفضل المواد البيئية أثناء البناء و خلال فترة الاستخدام ، و حتى إذا أريد إزالة القبة فالنواتج منها لا يضر بالبيئة ، و يعتبر التبن و القش المخمر مادة جيدة للربط و للتماسك ، و كما ذكرنا أنها مادة عازلة ، فلهذا نرى أن العزل في البناء الطيني يتكامل بتماسك التبن و الطين ، و خاصة بعد التجفيف تحت أشعة الشمس ، كما أن سماكة الجدران تلعب دوراً كبيراً بالعزل الحراري ، و دهانها باللون الأبيض يعكس أشعة الشمس فيساهم في عملية العزل الحراري ، إن أدوات البناء المستخدمة بسيطة ، و هي عبارة عن قوالب خشبية بسيطة تستخدم بوضع الخلطة الطينية فيها و رصها لتأخذ شكل اللبنة الطينية ، و أدوات خلط الطين مع القش و التقليل ، أدوات متوفرة بشكل عام ، و يستخدمها العمال المهرة ذوي الخبرة الكافية في البناء الطيني ، و هؤلاء لديهم القدرة الكبيرة على تحمل المجهود الكبير في بناء القباب و صيانتها .

تتألف الخلطة الطينية من / ٨٠ كلف تبن لكل متر مكعب واحد من الغضار يوزع على دفعات و أثناء التقليل ، ثم يضاف الماء على هذه الخلطة التي تقلب جيداً و باستمرار حتى تصبح كل الخلطة متساوية بالرطوبة و اللزوجة و في توزيع التبن فيها ، ثم تترك لعدة أيام ، و كل يوم تقلب من جديد مع إضافة الماء لها بحيث تبقى محافظة على لزوجتها و رطوبتها ، و ما إن تتم عملية تخمر التبن حتى تحضر القوالب الخشبية ، و يصار إلى تعبئة القوالب و تسطيح اللبن المرصوص بداخلها تحت الشمس بعد إخراجها من القالب ، و إعادة هذه العملية حتى يتم صب ما

يحتاجه من اللبن ،و تترك تحت الشمس حتى تتصلب تماماً ، ثم يجمع اللبن تمهيداً لاستخدامه في البناء .



قباب متلاصقة من الطين مع قاعدة من الأحجار ، و يلاحظ وجود الأحجار المستخدمة كأدراج، القباب من قرية (فريتان) .



قباب مخروطية ناقصة من الطين ، و إلى جانبها بيوت حديثة ، مغطاة بالكلس المطفاً . الصورة من قرية (الشيخ هلال) .

٢- البيوت المربعة المصنوعة من اللبن الطيني :

هذه البيوت (ذات الشكل الرباعي) التي بنيت في سلمية بعد أعوام قليلة من تأسيسها ، و لقد اتسم هذا النوع من البيوت بسمات خاصة به ، كانت الجدران عالية ، و هي مسقوفة من جذوع الأشجار المركب عليها أعواد القصب المفرغ ، و فوق القصب خلطة طينية ، و هكذا كان السقف عازلاً للحرارة و البرودة مثله مثل الجدران ، و السطوح مائلة باتجاه المزاريب المصرفة لمياه الأمطار ، في البداية بنيت غرفة واحدة ، ثم ازدادت الغرف في نفس البيت و في الجوار ، و صار البيت مؤلفاً من غرفتين و صالون ، ثم ثلاثة غرف و صالون ، و بعدها أربع و صالون ، و نادراً ما يوجد بيت يحتوي على أكثر من أربع غرف و صالون ، و ظهرت في مراحل متأخرة غرفة فوق السطح سميت (عليّة) ، و لما كانت الغرف الطينية من طابق واحد كانت الأساسات بسيطة ، و ما أن دخلت عمارة الحجر مع الطين بتمازج جميل حقق المتانة و العزل و الجمالية ، دخل معها البناء على أساس القنطرة ، و كانت القنطرة تبنى تحت الأرض و هي التي يبنى فوقها الجدران ، و أحياناً كانت تقوم مقام الجدران و تبنى فوق الأرض و تكون هي حاملة للأسقف ، و ربما جاءت في منتصف الغرفة الواسعة ليحمل عليها جذوع الأشجار الحاملة للسقف ، و هذا النمط من العمارة الريفية استمر حتى أيامنا هذه و هو موجود في أغلب القرى في منطقة سلمية .

٣- البيوت المبنية من الأحجار :

يعتبر الحجر من المواد التي استخدمت في البناء منذ آلاف السنين (فجر التاريخ) و قبل قيام الحضارة الإنسانية ، و البناء بالحجر لا يزال إلى يومنا هذا يحتفظ بقيمة جمالية و معمارية عالية المستوى ، و بلادنا سورية تشهد على قيمة هذه المادة و دورها في العمارة القديمة و الحديثة ، و سورية تتمتع أراضيها بوفرة هذه المادة و تنوعها ، فمنها الحجر الكلسي الأبيض ، و الحجر البازلتي الأسود ، و أصناف من الأحجار الكلسية الملونة (أصفر ، بني) و وجود هذه الأحجار المتنوعة قد يكثر نوع في منطقة و يقل في أخرى ، و قد نرى كل الأنواع في منطقة واحدة ، و نوعية الحجر تعطي نمطاً معمارياً محلياً و صفات تعرف المنطقة المتواجد فيها بالطابع المعماري الذي يحمله ذلك الحجر ، إضافة إلى أن الحجر يستخدم كمادة جميلة طبيعية زخرفية ذات ألوان و بريق يرضي النفس ، و يبهز الأنظار ، و صناعة البناء من الحجر تعتبر من المهن القديمة التي لم تنقرض و هي ربما ستدوم لقرون عديدة ، و خصوصاً بعد ما أدخلها المهندس المصمم كمادة ديكورية تغلف الواجهات فتعطي البيوت رقيماً معمارياً مميزاً ، و صار الحجر في بناء اليوم مادة ضرورية خاصة بعد فشل المواد المصنعة و(المستخدمة في أكساء الواجهات) في الاستمرار و الديمومة ، لأن المواد اللاصقة المركبة منها يبطل مفعولها بعد فترة زمنية قد تطول و قد تقصر و لكنها لن تستمر ، أن الاهتمام باستخدام الحجر في البناء اليوم ، يجعل منه مادة معاصرة للحاضر و المستقبل ، و يبعث الاطمئنان لمستخدمي الأبنية المعتمدة على الحجر ، علماً أنه يمكن استخدام الحجر كنظام إنشائي لعدة طوابق (أبنية صنعاء القديمة) .

استخدم الحجر في بناء البيوت الريفية بشكل واسع ، و في سلمية خاصة ظهرت بيوت عديدة معتمدة في بناءها على الحجر منه الكلسي الأبيض و منه الحجر البازلتي الأزرق ، و الحجر الأبيض أكثر ما استخدم في تحلية و زخرفة واجهات البيوت و خاصة حول الشبائيك و الأبواب ، و الأحجار كانت تقطع إلى مقاسات مختلفة متعارف عليها ، و أكثر الأحجار استخداماً جلبت من جبال العلا ، أو من أحجار القلعة و الأبنية الأثرية المهدمة .



بناء من الحجر البازلتي الأزرق ، مع حليات حول الشبابيك من الحجر
الأبيض (سلمية)



سقف يتألف من جذوع الأشجار، و عليها القصب المفرغ (سلمية) .



واجهة بيت مبنية من الحجر الكلسي الأبيض، مع زخارف من نفس
الحجر (سلمية)



بقايا بيت مبني بنظام القناطر من الحجر الأبيض و أخرى من الحجر الأزرق و الجدران حجر أبيض غشيم (تلتوت) .



بناء لطاحونة جدرانها من الحجر الأزرق مع أعتاب للشبابيك المعقودة على هيئة قنطرة ، و السقف من ألواح التوتياء (سلمية) .



واجهة مدخل بيت مبنية من الأحجار البازلتية ، و مزينة بالحجر الأبيض ، و زخارف خشبية بسيطة (سلمية) .



جدار لبيت متهدم مبني من الحجر الغشيم بمونة طينية (قرية فريتان).



عقد من الحجر الكلسي لباب ، و العقد فيه بعض الزخارف البسيطة (سلمية) .

تطور عناصر المبنى في سلمية:

١-التوزيع الداخلي : في بدء قيام العمارة في سلمية كانت الحاجة قليلة و وحدة بناء مفردة كانت تكفي العائلة الواحدة ، فعدد أفراد الأسرة قليل ، و الأراضي واسعة و متوفرة بكثرة بدون قيمة مالية لها و من أراد اقتطاع أرض ليبنى عليها بيت يأوي إليه مع عائلته ، لا أحد يمنعه بل على العكس من ذلك يتكاتف بقية الجيران معه و يساعده على بناء البيت الذي يرغب فيه و بالمنطقة التي يختارها ، كانت العلاقة علاقة عائلية و الفرد الواحد مهم بالنسبة للكل ، و المساعدة واجبة و ضرورية لاستمرار البقاء في هذه المنطقة ، و رغبة الجميع بالبناء المتقارب مع بعضهم البعض لتأمين الراحة و دفع الخوف من الحيوانات المفترسة التي كانت تعيش في هذه المنطقة ، و من الإنسان الغريب الذي ينظر إلى هذا التجمع على أنه جاء ليأخذ منه موارده و طعام مواشيه ، و طبيعة سلمية كانت غريبة عن فطرة أهلها الأوائل القادمين من الجبال و السهول البعيدة ، و كان الهم الأول لسكان سلمية تأمين مواد التدفئة للشتاء ، و توفير مؤونة للشتاء أيضاً ليتم تخزينها للإنسان و الحيوان الذي يعتمد عليه في شتى حاجات الحياة اليومية ، و مع ازدياد السكان و نمو العائلة الواحدة، و قدوم العائلات الجديدة من مختلف مناطق سورية زادت حاجة العائلة لقطعة أرض أكبر من المعتاد لإقامة بيت سكن عليها ، و لم تعد تكفي غرفة واحدة فازدادت الحاجة لعدد أكبر من الغرف أو القباب ، و صار تخصيص غرفة للنوم و أخرى للمعيشة ، و واحدة للطبخ و الغسيل ضرورة لا بد من تأمينها حتى تنعم الأسرة بسكن تراتح فيه العائلة و يؤمن لها احتياجاتها ، و يؤمن مكان للمواشي و الطيور التي تقتنيها العائلة ، و كان لا بد من وجود مستودعات لعلف الحيوانات و مستودعات لمؤونة الإنسان ، و لم تقف حاجة الفرد في سلمية عند عدد محدد من الأماكن السكنية ، و صار ما يحدد حاجته تلك الأيام القدرة المادية التي يمتلكها رب العائلة ، فالبعض يبنى أكثر مما يحتاج ، و آخر يبنى أقل مما يلزمه (وجود أسر عدد أفرادها كبير حتماً تحتاج لبيت واسع عديد الغرف حتى يفي بحاجة الأسرة) و البيت يضم العائلة و الأولاد الصغار و الكبار، و سيتزوج البعض منهم في أول الأمر ثم الكل

أخيراً ، و يأتوا بأولاد جدد لتبدأ مسيرة الأيام من جديد، كل هذا تحت راية رب الأسرة الأول و صاحب البيت الذي يشرف على حياة الجميع و يتحكم فيها طالما الجميع يسكن البيت ، و يعيش تحت جناحيه ، و كل الأسرة (على الأغلب) تعمل في زراعة الأرض معه وفي تربية المواشي ، و هذه هي الحال ما عدا بعض الشواذ ، فأحياناً قد يتمرد أحد الأولاد و يهجر البيت مع أفراد أسرته الخاصة ، ليبدأ مشوار حياته الجديد بمفرده و ليكون هو رب أسرة تنضوي تحت جناحيه أسرة صغيرة ستتمو و تكبر و يزداد عدد أفرادها و لهذا كان التوزيع الداخلي في البداية عبارة عن صف من الغرف أو القباب أو كليهما معاً الوحدات متلاصقة على نسق واحد ، يقابل هذا الصف في الجهة الثانية أماكن الخدمات و الملاحق و أماكن مخصصة للحيوانات و الطيور و مكان تخزين الأعلاف ، و المسافة بين غرف السكن و غرف الخدمات تعتبر مهمة و ضرورية و كلما اتسعت كان القبول فيها أفضل ، فهي هامة للتهوية و دخول أشعة الشمس إلى كل وحدات البناء ، و هذه المسافة إن اتسعت أو ضاقت فهي تشبه إلى حد ما الفناء داخل بيت المدينة ، و في البداية استعويض عن الإيوان بمصاطب ملاصقة للغرف من جهة باقي البيت ، هذه المصاطب مرتفعة عن الأرض ، تقضي العائلة معظم وقتها على تلك المصاطب ، و هي مكان للنوم في أيام الصيف الحار .

في هذه المسافة الواقعة بين الغرف السكنية و باقي الأمكنة تزرع الأشجار المثمرة و الورود و الزهور ، و فيها مكان لبئر الماء بين مزروعات هذه الحديقة الغناء التي تنعش النفس و تريح الأعصاب ، و بقيت البيوت الريفية لمنطقة سلمية على هذه الحال حتى أوائل الخمسينات من القرن الماضي حين دخل على المنطقة نظام الشقق الحديث ، و بالتدريج اختفى فناء البيت الواسع و حل محله الأماكن المغلقة ضمن الشقق السكنية ، التي صارت مع مرور الأيام هي المكان الوحيد للعيش فيه ، و ضمن جدرانها المكونة من البلوك الأسمنتي ، و صار الساكن فيها مثل الطير يسبح في فسحة السماء و يغرد فوق الأشجار و الورود ، و فجأة يجد نفسه حببياً ضمن أسوار معتمة حتى في نهار حزيران ، و هكذا صارت الشقق السكنية المغلقة في سلمية من سمات العمارة عندنا ،

و منذ حلولها محل البيوت المفتوحة ، أصبح من الصعب التفريق بين البيوت السكنية في سلمية و بيوت باقي المدن السورية .

٢- الأساسات:

الأساس أصل البناء ، و أسس البناء تأسيساً ، و الأس أسفل الجدران التي يرتكز عليها ، و قسم منها يحفر في الأرض ، و القسم الآخر على وجه الأرض من دون حفر (فوق الأرض الصخرية عادة) و الكلمة الأكادية " بيت برتو" ربما تعني خندق الأساس ، أو حفرة الأساس ، و الكلمة الأكادية " يوسو" تعني الأساس أيضاً و ربما جاءت منها الكلمة العربية أساس .

عرف الإنسان القديم أهمية الأساس و ضرورته لإقامة أي عمارة ، و في جميع الحفريات و التنقيبات الأثرية نجد أن عنصر الأساسات متواجد في كل اكتشاف لمدينة و حضارة سابقة ، و لقد بنيت تلك الأساسات بشكل متين و قوي ، و بالصورة التي فرضتها الحياة وقت البناء ، ففي الجبال و سفوحها ، تبنى الأساسات من الأحجار و بمادة لاصقة شبه واحدة ، و عند الأنهار و في البراري الواسعة نرى أن اللبن الطيني متداخل مع الأحجار (حينما تكون الحجارة قليلة في المنطقة) و متراص معها ليشكل أساساً يمكن البناء فوقه بأمان ، و لقد توصل المعمار القديم إلى الحفر تحت الأرض تمهيداً للوصول لطبقة متجانسة قادرة على تحمل أوزان البناء دون أن تتأثر بأي هبوط أو إزاحة ، إن صناعة أساسات المبنى أمر مهم و ضروري للغاية ، و لا يمكن الاستغناء عنه ، و منذ كانت الأساسات تعمل من الجص المتماسك بواسطة الخلطة الطينية ، و حتى صناعة الأساس من البيتون المسلح ، لم يتمكن المصمم من التعويض ، أو إيجاد بديل للأساسات ، في سلمية وفي القرن التاسع عشر استخدمت الخلطة الطينية الممزوجة مع الحصى و الحجارة الصغيرة في تكوين الأساسات تحت جدران القباب و الغرف ذات المسقط الرباعي ، و بعدها و بالتجربة تبين أن هذه الطريقة ليست قادرة على الصمود أمام الأمطار الغزيرة و السيول الجارفة ، لذلك أضافوا للجدران الخارجية و بارتفاع متر و نصف تقريباً ستاراً واقياً بسماكة لا تتجاوز

١٠ سم ، و بقاعدة أعرض من الرأس ، و من المواد الطينية المعهودة مضاف إليها الحصى ، و كانت ذا فائدة كبيرة في مقاومة شدة السيول و غزارة الأمطار ، و بعد أن صار البيت يبنى مرتفعاً عن الأرض الطبيعية صار بمأمن من الطبيعة ، و حين كثر استخدام الأحجار في البناء صارت الأساسات الحاملة لجدران البيت تشاد من الحجارة على نوعين :

١-: على هيئة جملون أو قنطرة (سماكة لا تقل عن متر واحد) تبنى تحت الجدران و تلتصق الأحجار مع بعضها بالخلطة الطينية الممزوجة مع الكلس المطفا ليزيد من تماسك تلك الخلطة

٢-: أساس عادي أعرض قليلاً من الجدران ، أغلبه تحت الأرض و قليل منه ظاهر ، و ما هو تحت الأرض مستند على طبقة من التربة قوية و قادرة على تحمل الجدران و هي متجانسة ، و المادة اللاصقة على الأغلب هي نفسها الخلطة الطينية يدك داخلها الحجر حتى مستوى الأرض ، و القسم العلوي من الأساس يسوى جيداً حتى يصار إلى البنين عليه ، و عرض هذا الأساس يتراوح عادة بين ٥٠-٦٠ سم ، و هذه الطريقة لا زالت تستخدم أحياناً ، و ربما استخدمت تحت المباني المشادة من البيتون المسلح مع استبدال المادة اللاصقة إلى الخلطة البيتونة المؤلفة من الإسمنت البورتلندي المخلوط مع الرمل و البحص ، و قد تستخدم تحت الجدران بدلاً عن القواعد و الشناجات المسلحة لتوفر شيء من الكلفة المادية للمبنى ، و بعد أن أصبحت عمارة البيوت في سلمية خاضعة لظروف و اعتبارات و قوانين تحددها الدولة لترعى البناء ضمن شروط و مواصفات تخدم المواطن بالنتيجة ، و صار للمهندس المصمم الرأي الأخير في عمارة البيوت ، من وقتها صارت الأساسات كلها من البيتون المسلح ، منها الأساسات المنفردة (قواعد أحادية) و الأساسات المشتركة ، و المستمرة ، و أساسات الحصيرة الكاملة تحت المبنى (نفذت لأول مرة في بناية السيد/ أحمد سليمان/ خلف مبنى الجندول ، بناية تجارية مصممة لتسعة طوابق ، عمق الحفر فيها تجاوز الستة أمتار ، و بعض المجازات بين الأعمدة تجاوزت ستة أمتار ، مما دعا المصمم لزيادة سماكة بلاطة السقف حيث نفذت بسماكة ٤٠ سم ، و سماكة

الحصيرة كانت متر واحد بتسليح للشبكة السفلية ٧ قضبان قطر ١٨ مم لكل متر واحد فرش و غطاء ، و الشبكة العلوية نفس التسليح..) صممت هذه البناية معمارياً و نفذها على الهيكل مؤلف هذا الكتاب و صممت إنشائياً من قبل المهندس "خالد زيد" ، و المهم أن الأساسات المعدة من البيتون المسلح هي الأفضل اليوم و هي الأقدر على مواكبة تطور البناء في سلمية ، و تم استخدام هذه الأساسات بشكل واسع منذ أوائل سبعينات القرن الماضي ، و ذلك لقدرة هذه الأساسات على تحمل أوزان كبيرة جداً و بدون حدود معروفة لقدرتها ، لذلك تعددت الأبنية ذات الطوابق المتكررة و التي وصلت حتى سبعة طوابق (بناء المؤسسة العسكرية و الذي أقيم مكان المخفر القديم ، قصر الشهابي السابق) ، و اليوم صار من المفضل حساب الإنشاءات في أي مبنى متعدد الطوابق على إمكانيته لمقاومة الزلازل و الأعاصير ، و لكي تضمن سلامة المبنى لسنين عديدة .

٣- الجدران:

الجدار هو حائط البيت ، و الجدار هو الحائط و الجمع جدران ، و الحائط يبني حوله فهو محوط ، و الحائط يحوط ما فيه و الجمع حيطان ، و الجدار هو ما بني من اللبن أو الطوب ، الكلمة الأكادية " إيجارو" تعني الجدار و هو العنصر الرئيسي و الهام جداً في أية عمارة ، و هو الستار الحامي و الواقي لسكان البيت ، و هو حامل للأسقف المكونة من الأخشاب و أعواد القصب ، و في بعض الأحيان يكون حامل للأسقف البيتونية المسلحة ، و الجدار يبني بطريقة المداميك المستقيمة و المتراسة فوق بعضها بواسطة طينة لاصقة ، في البدء كانت (كما ذكرنا) الأبنية تشاد من اللبن الطيني المكون من الغضار و التبن المخمر ، و طينة اللصق اللبن هي من نفس الطينة التي تشكل اللبن ، و قد كان لهذه الخلطة الأثر الكبير في تماسك اللبن قبيل تلييسه بنفس الطينة لكي تتم تغطية فواصل الصفوف ، و الشقوق الناتجة عن البناء لكي لا تصير أماكن لتواجد الحشرات الضارة ، و ما أن دخل البلوك الإسمنتي سوق البنيان في سلمية ، حتى حل محل اللبن الطيني قليلاً قليلاً و بعد فترة بسيطة صار المادة الرئيسية للبناء ، و أول ما ورد إلينا كانت مواصفاته و

مقاساته كما يلي : 20X40X20 سم، و هو مصمت (بدون فراغات) مصنوع بواسطة الدق اليدوي ، ثم جاء بعده البلوك المفرغ بمقاساته المختلفة و المتعددة و المناسبة لإقامة الجدران السميكة و الأقل سماكة و حسب الحاجة ، و المقاسات المتوفرة كثيرة ، و أكثر المقاسات انتشاراً في النصف الثاني للقرن الماضي هو 20X15X40 سم فهو أخف وزناً و لا فرق بينه و بين باقي المقاسات إلا في العرض الثابت خمسة عشر سنتيمتر ، و هذا أدى إلى توفره بكثرة لأن مقاساته ثابتة و واحدة و متانتها جيدة (إذا كانت المونة الداخلة في تركيبه حسب الأصول) و نظافة أوجه البلوك الظاهر للعيان ، و قد استخدم في سلمية و على نطاق ضيق بعض أنواع الطوب المصنوع من الفخار ، الدافع لاستخدام هذا النوع هو تأمين العزل الحراري للمبنى بقدرة أكبر من البلوك الإسمنتي ، لكن قلة توفر هذا النوع و ارتفاع سعره و صعوبة حفره لتركيب التمديدات الصحية و الكهربائية بالمقارنة مع البلوك الإسمنتي لم يعطياه فرصة الانتشار الواسع ، و الجدران المبنية من الأحجار المقطوعة ، منها تبقى على طبيعتها (حجر غشيم) و منها تتحت من جهة واحدة تلك الجهة التي ستكون واجهة الغرفة أو السور الخارجي للبيت ، انتشر هذا النوع من الجدران و خاصة في الأبنية الكبيرة ، و أحياناً تختلط في المبنى الواحد أنواع مختلفة من الأحجار ، فمنها الأبيض و الأزرق بتداخل معماري جميل يضيف إلى المبنى رونقاً جميلاً ، و بعض الجدران كانت تصنع من الأحجار المنحوتة من جهتين داخل و خارج الجدار و بينهما يدك كسر الأحجار الناتج عن النحت ، و توضع بين الأحجار الخلطة الطينية المضاف إليها الكلس المطفأ ليزيد من تماسكها ، و أحياناً استخدمت المونة المعروفة (بالقصرمل) و هي المؤلفة من (الجير و الرمل و رماد أفران الحمامات) ، إن عرض جدار الحجر يتراوح بين ٤٠ سم و ٦٠ سم ، و قد كثرت الورش التي تجهز و تصنع الأحجار المجلوبة من جبال العلا المجاورة لسلمية ، تكلفة الجدار الحجري كانت أكبر من تكلفة جدار اللبن الطيني ، و لكن ديمومة الحجر الطويلة بالإضافة للمتانة الكبيرة و الجمالية الملحوظة و خاصة بعد تكحيل الفواصل أعطت لجدار الحجر التفوق على الجدران الطينية ، التي تراجع أمام استخدام الجدران الحجرية . الأحجار

الكلسية البيضاء سهلة التصنيع و التشذيب أكثر من الأحجار البازلتية ، و لكن الأخيرة أمتن و أدوم على البقاء في البناء .

حتى اليوم لم يبدأ استعمال الجدران مسبقة الصنع في سلمية ، لقد كان معلم العمار ذكياً لأنه كان ينتبه إلى ضرورة وضع أعتاب من البيتون المسلح بين المداميك إذا كان ارتفاع الجدار أكثر من أربعة أمتار (هناكر المعامل و المداجن) ، هذه العتب تعمل كرابط بين الأعمدة ، و عندها يتحول الجدار إلى طبقتين منفصلتين ، و هذا يخفف من عزوم التحنيب التي تظهر بالارتفاعات العالية فتؤدي إلى حدوث شقوق في الجدار قد تكون خطيرة .

الجدران لا زالت مهمة اليوم في أية بناء يقام ، و منظر الجدار الخارجي هو ما يعطي الانطباع الأول حول جودة البناء من عدمه ، مع إعطاء فكرة حول قدرة المهندس المصمم .

٤- السقوف:

كانت معالجة التسقيف عند بداية البناء في سلمية ، عملية صعبة و ذلك بسبب قلة المواد اللازمة لتغطية السقوف كجذوع الأشجار ، أو الأخشاب ، أو الحديد ، لذا كان الحل البديل بناء القباب (سقف القبة من خلال بناء اللبن للوصول لرأس الجدران بالشكل المخروطي) ولما صارت القبة الواحدة لا تلبي حاجة الأسرة و منها ضرورة وجود أماكن واسعة قادرة على الاستيعاب أكثر من القبة الواحدة ، و رغم أن الحل الأول جاء بإزالة الجدران بين القباب المتلاصقة ليتسع المكان لأكثر عدد، لم يكن حلاً جيداً و مقبولاً و بقي حلاً مؤقتاً و نفذ في أماكن قليلة و حينما اتجه إلى البناء الجديد (وحدات ذات شكل رباعي) كانت المواد اللازمة للتسقيف قد بدأت تتوفر في سلمية من خلال التجار القادمين بها من المدن (حمص و حماه) استخدم في تغطية السقوف أول الأمر جذوع الأشجار الطويلة و التي يمكن أن تصل بين جدارين متقابلين ، مع ارتكازها من الطرفين على هذين الجدارين ، و وضعت الجذوع بمسافات قليلة بينها ، قد لا تكون المسافة بين جذعين أكبر من أربعين سنتيمتر ، و إذا كانت الغرفة المراد تسقيفها ذات شكل رباعي " مستطيل " توضع الجذوع على

الجهة القصيرة و تثبت بالطين أطراف الجذوع ثم يوضع فوقها عيدان القصب المجوف بشكل متراص مع بعضه و مشدود بواسطة حبال من القنب رفيعة ، يوضع بشكل متعاكس مع اتجاه جذوع الأشجار بشكل لا يسمح بمرور أتربة بين العيدان ، ثم يوضع فوق القصب تراب مخلوط مع البحص بسماكة لا تتجاوز سبعة سنتيمترات ، و فوق هذه الطبقة توضع طبقة من الخلطة الطينية المعروفة بشكل مائل باتجاه المزاريب لتسهيل تصريف مياه الأمطار ، و هذه الطريقة في البناء استخدمت على نطاق واسع و شامل لكل من سلمية و القرى حولها . و منذ بداية أعمار سلمية كان الاهتمام الزائد بصيانة المبنى المشاد من الطين ، ففي أواخر شهر أيلول حتى منتصف تشرين الأول (بداية موسم الأمطار) يتوجه أغلب السكان إلى إعادة طلي الأسطح و الجدران بالخلطة الطينية للغرف ذات الشكل الرباعي و للقباب ، و تسمى هذه العملية "السياعة" ، و في أوائل القرن الماضي دخلت تعديلات على عملية التسقيف هذه أهمها استبدال جذوع الأشجار بقدد خشبية مقطوعة بمقاسات واحدة " سطام" العرض ٨سم و الارتفاع ١٥سم و الطول مختلف قد يصل إلى خمسة أمتار ، يركب فوق السطام ألواح خشبية بسماكة لا تتجاوز ٢سم ، و بعرض لا يقل عن ٣٠ سم و بأطوال مختلفة يختار منها حسب طول السطام ، و تتركب بشكل متلاصق مع بعضها لسد كامل الفراغات المشكلة من جراء عملية التسقيف ، و بشكل متعاكس مع (السطام) الذي صار يدهن بألوان مختلفة و يزين بالنقوش البسيطة و الخطوط العربية أحياناً (كما في الصورة)، و توضع طبقة من البحص و الرمل فوق اللاط بسماكة لا تقل عن سبعة سنتيمتر ، ثم يصب فوقها خلطة من البحص و الرمل و الطين (الذي استبدل فيما بعد بالإسمنت) و تمد على كامل السطح بسماكة تصل للعشرة سنتيمتر و بميول إلى المزاريب لتأمين تصريف مياه الأمطار بسهولة و يسر ، و إذا كانت المجازات كبيرة بين الجدران و يصعب تأمين مقاطع خشبية قوية قادرة على حمل أحمال السقف بدون أن تتأثر ، في هذه الحالة يعمد لوضع سطام من الحديد بمقطع U أو مقطع T أو أي مقطع آخر يؤمن قوة تحمل مناسبة ، يركب على هذا المقطع القدد الخشبية بنفس الطريقة السابقة ، و بهذا المقطع الحديدي يكون قد قسم المجاز الكبير إلى مجازين يمكن للقدد الخشبية

حمل السقف من خلالها ، و طرق التسقيف القديمة هذه حلت مشكلة الحاجة إلى أماكن واسعة وقادرة على استيعاب السكان ، و هناك نوع من التسقيف طبق في سلمية أواخر القرن التاسع عشر و أوائل القرن العشرين ، و هذا النوع يعتمد على الجملونات المتصالية ، و ينفذ بنفس الطريقة التي كان ينفذ بها منذ ألوف السنين ، و الجملونات المتصالية تبنى من الحجر البازلتي و المونة الطينية و يمكننا مشاهدة هذا النموذج حتى اليوم فنراه منفذ في خان السلطان الملاصق للحمام الأثري ، و الصورة تبين بوضوح طريقة البناء .



ما تبقى من خان السلطان (جملونات متصالية - سلمية)



سقف من السطام و اللاط الملون (سلمية) .



سقف مجازه كبير ، سطام خشبي مرتكز على سطامتين من الحديد متلاصقتين (سلمية).

و بقيت طرق التسقيف كما ذكرنا حتى دخول البيتون المسلح إلى سلمية بكل قوة إلى ميدان البناء في سلمية فتحول التسقيف إلى الطرق الحديثة و المواد الجديدة ، و كان بداية ذلك أواخر أربعينيات القرن الماضي ، و بدأ دخول البيتون المسلح على مهل و أول استخدامه استخدم في تركيب السقوف فوق الجدران الحجرية ذات السماكة التي تتجاوز الأربعين سنتيمتر ، و كان السقف يعمل على طريقة البلاطات ذات التسليح الشبكي بحيث لا تتجاوز الأبعاد بين كل قضيبين من الحديد المبروم أكثر من ثمانية عشر سنتيمتر بالاتجاهين ، و كانت معظم البلاطات تصب بسماكة ١٢سم و في بعض الأحيان تصب بسماكة ١٥سم ، و أقطار حديد التسليح للبلاطة و الجسور الحاملة لها يحدد قطرها و كميتها المهندس المصمم ، و هو يراعي في حساباته الحملات الواقعة على الجسور الساقطة و المستندة بطرفيها على الجدران ، كما يراعي في اختياره لأقطار حديد البلاطة و عددها مجاز البلاطة و أبعادها ، إن كبر البعد كبر قطر الحديد المستخدم و إن صغر البعد صغر قطر الحديد المستخدم ، و لما حل البلوك الإسمنتي محل الحجر في بناء الجدران استمرت عملية التسقيف بواسطة البلاطة البيتونية ، و بقيت الجدران المصنوعة من البلوك الإسمنتي تقوم بمهام جدران الحجر أي بتحمل السقف و أوزانه و ما يضاف إلى تلك الأوزان من حسابات أوزان متوقعة و غير متوقعة ، و كان لا بد للأعمدة من أن تأخذ دورها في البناء و الذي افتقدته منذ زمن طويل (يوم كانت الأعمدة حجرية) وفي أواخر خمسينات القرن الماضي اقتحمت الأعمدة مجال البناء و صارت عنصراً هاماً من العناصر

الإنشائية الضرورية لإقامة مبنى مضمونة سلامته ، و أخذت دورها الرئيسي في نقل حمولات الأسقف و الجسور إلى القواعد المشغولة كأساس تحت هذه الأعمدة ، و الشناجات الحاملة للجدران تقوم بدور هام حيث تعتبر رابطاً بين الأعمدة و هي تخفف ارتفاع العمود ، و بقيت بعض الأبنية تعتمد على الجدران الحجرية لتحميل الجسور و الأسقف حتى فترة قريبة ، و مع دخول البيتون المسلح إلى العمارة الريفية توسعت الأماكن و تعددت الطوابق ، و تنوعت طرق بناء الأسقف على مهل و بتأنٍ ، و اختفت البلاطة البيتونية وجسورها من ميدان العمارة ، و حلت محلها الطريقة الحالية و المنتشرة اليوم بكثافة كبيرة وهي طريقة الأعصاب و الجسور المخفية بين البلوك الهوردي ، و صارت السماكات في السقوف كبيرة و هي الخاضعة لحسابات المهندس المصمم ، و الهوردي المستخدم بسماكة ١٥ سم و ١٨ سم و ٢٢ سم و ٢٨ سم و الأخير كان أسمك بلوك هوردي استخدم في سلمية بحيث صب السقف بسماكة ٣٦ سم و ذلك بسبب كبر المجازات في ذلك المبنى ، فاتجه المهندس المصمم إلى هذا النوع من البلوك الهوردي و إلى هذه السماكة لضمان السلامة ، و قد استخدم تسليحاً عالي القدرة ، و قضباناً ذات أقطار كبيرة ، و تعددت طرق صب الخلطة البيتونية ، من يدوية (رمل و بحص من الوديان) إلى جبالات ميكانيكية تستخدم الرمل و البحص المكسر و المغريل حسب الأصول ، ثم تطورت الأمور إلى استخدام البيتون الجاهز مؤخراً و هذا البيتون الجاهز يصنع في حماه أو في حمص و يأتي به إلى سلمية بواسطة سيارات خاصة بحيث يبقى يخلط طيلة الطريق ، و يضخ من

خلال مضخة آلية إلى السطوح العالية و إلى الأماكن المراد صبها ، و هذه الطريقة تعتبر الأهم في عالم العمارة لكونها تتبع النظام و المواصفات القياسية الدولية في تجهيز خلطتها ، و المزج الآلي يعطي خلطة متجانسة بشكل جيد ، بل بهذه الطريقة نصل إلى أعلى نتائج اختبار البيتون المستخدم ، و نجري عدة تجارب على الخلطة للتأكد من أنها عملت حسب الأصول الفنية ، و أولاً نجري تجربة المخروط و هبوط الخلطة من خلاله ، و بعدها يعمد لأخذ عينات من الخلطة و توضع ضمن مكعبات تروى بالماء حتى مرور أسبوع عندها تكسر العينة تحت ضغط ميكانيكي و يعطينا النتائج بدقة ، و يمكننا إعادة التجربة خلال خمسة عشر يوماً من تاريخ الصب أو خلال ثلاثة أسابيع أو خلال أربعة أسابيع ، و جميع النتائج يجب أن تكون متوافقة مع جداول الكسر المعتمدة من قبل الدوائر الرسمية و المواصفات السورية الخاصة و العامة ، و هذه العملية (الصب بواسطة البيتون الجاهز) سهلت إقامة عدة طوابق و شجعت على البناء في الأماكن الضيقة التي لا تصلها الجبال الصغرة إلا بصعوبة ، و بعد التطور الإنشائي الكبير من خلال الدراسات الحديثة و دخول المواد المصنعة الحديثة و التي تساعد في تطوير البناء و تنفيذه بسرعة و أمان ، و لهذا توسعت الأشكال الديكورية المستخدمة في الأسقف مما أعطى المبنى الحديث جمالية كان من الصعب تحقيقها بدون تطور البيتون المسلح و توابعه ، و قد وجدت بعض السقوف في سلمية مصنعة على هيئة جملونات و قناطر ، تأخذ الشكل المستطيل ثم تعقد الحجارة البازلتية أو الكلسية بشكل نصف دائري تحمل فوقها الطابق الثاني ، الذي يسقف

عادة بواسطة القرميد المثبت على أضلع خشبية ، و هذه ظهرت في المساكن العامة (الثانوية الزراعية، مبنى الجندول ، و بعض المساجد ، السرايا القديمة)، و بقيت هذه الطريقة ضمن هذه الأماكن و لم تنتقل للمباني السكنية .

٥- الأرضيات:

في البداية لم يكن للأرضيات أي دور فعال أو مهم في التكوين المعماري للمنزل ، و كانت أرضيات الغرف تبقى كما هي ، مع تسوية قليلة و تنظيف البحص و الحجر الصغير منها، ثم ترش بالماء مع رصها لعدة مرات ، هذه حال الأرضيات للقباب و الغرف ، غير أن سرعة خراب هذه الطريقة جعلت الساكن يبحث عن بديل مقبول وجده في الخلطة الطينية الهامة في عالم البناء تلك الأيام ، فصار إلى مدها على الأرضية النظيفة مع جبلها من جديد بالحصى وزيادة كمية التبن المخمر فيها لتشتد متانتها ، و بسماكة حوالي سبعة سنتيمترات ، مع رصها جيداً ، و تركها حتى تجف فتصبح قوية و قادرة على مقاومة الإهتراء و البقاء لفترة معقولة ، و كانت هذه الطريقة تحتاج لصيانة مستمرة وخاصة للوقاية من المياه ، و ما أن دخل الإسمنت إلى سلمية حتى استخدم مجبولاً مع الحصى المتدرج في صب الأرضيات ، و صار يمد على الأرضية الحصى

المرصوص ثم يغطى بطبقة من الإسمنت المجهول مع الحصى الصغيرة ،
و يصلق الوجه الخارجي جيداً مع رشه بالإسمنت الجاف و إعادة صقله ،
حتى يصبح وجه الأرضية نظيفاً و لامعاً و أملساً لا شوائب عليه ، و كان
البعض يضيف للخلطة مواد تجعل اللون يميل للاخضرار ، و هذه العملية
(الصقل) تسمى (تعديس) أي تحويل وجه الأرضية إلى ما يعرف
بالعدسة ، و هكذا تحولت الأرضيات من أرضيات ترابية تلزم العناية
الفائقة بها دون أن تكون فعالة ، إلى أرضيات قوية و جميلة و سهلة
التنظيف و الشطف بالماء ، فهي تصرف الماء بشكل جيد، كما أن
منظرها صار مقبولاً و سريعاً دخل بلاط الموزايكو إلى ميدان العمارة في
سلمية قادماً إليها من المدن المجاورة ، و ليستخدم في الأرضيات ، و ذلك
أواخر أربعينات القرن الماضي ، و قد توسع استخدامه في الأرضيات و
صار ضرورة معمارية فيها الجمال و المتانة و الديمومة و سهولة التركيب
، و هناك أرضيات لا زالت تتمتع ببريقها رغم مرور أكثر من خمسة و
ستين عاماً على تركيبها ، و جودة صنعها تفوق جودة الصناعة الآلية ،
و التي تجري بالآلات الميكانيكية ، و القديمة كانت تصنع يدوياً (دق
يدوي) و مع مجيء بلاط الموزايكو بألوانه المتعددة و تشكيلات الخطوط
الملفتة للنظر لجودتها و تناسقها الرائع ، دخلت ما يسمى بالنعلة ، و هي
عبارة عن قطع بلاط موزايكو مقصوصة بارتفاع ٨ سم تركب فوق البلاط
و أسفل الجدران لتكون كالبرواز للصورة ، و لتحمي أطراف البلاط من
التكسير و التلف ، وإعطاء لمسة لطيفة للغرف ، و هكذا تحولت أرضيات
الصالونات و الغرف الكبيرة إلى ما يشبه اللوحات الفنية المليئة بالزخارف

البسيطة التي أضفت على أرضية الغرف التكامل في الصورة الجميلة و التي تتناسب مع الجدران و الأسقف ، و تتال رغبة و إعجاب صاحب البيت ، و حتى اليوم لا يزال بلاط الموزايكو يتربع على قمة المواد التي تستخدم كتغطية للأرضيات ، مع تغير النوعيات و المقاسات اليوم عما كان قديماً ، و بعد عدة سنوات دخل إلى سلمية بلاط من نوعية جديدة يعرف بالقيشاني (رغم أن هذا النوع معروف تاريخياً في المباني الإسلامية و السورية القديمة) و معه السيراميك. فاستخدم القيشاني بادئ ذي بدء في تلبيس جدران الحمامات و المطابخ ، و السيراميك في أرضيات الحمامات و المطابخ أيضاً ، و لا تزال هذه النوعيات تستخدم إلى اليوم بل أمتد استخدامها لأرضيات الغرف و الفرندات ، و تنوعت المقاسات التي كانت شبه ثابتة للبورسلان و السيراميك أما اليوم فصارت المقاسات عديدة تناسب جميع الأذواق ، و في السنوات الأخيرة تعددت استخدام بلاط الرخام للأرضيات و الجدران ، هذا البلاط له أنواع كثيرة منها النادر و سعره مرتفع (الغرانيت) و العادي الذي يناسب الأغلبية كالتركي الأسود منه و الأبيض ، و في سورية العديد من مقالع الرخام التي تنتج أنواع من الرخام (تختلف جودته من قساوة و مرونة) تغطي السوق المحلية و يصدر للخارج أيضاً، و هناك بالسوق اليوم رخام صناعي بأشكال كثيرة متنوعة الديكور و الألوان و المقاسات ، و هذا النوع من البلاط جيد المنظر و متانته كبيرة و سعره مناسب ، و اليوم صار في سلمية ورشات فنية كثيرة و أغلبها لديه مهارة و فنية في عمله ، (في تركيب بلاط الأرضيات و تلبيس الجدران الداخلية و الواجهات) ، و

هكذا تحولت العمارة في سلمية إلى عالم عمارة المدينة و ما فيها ، و لم يعد هناك أية فروق معروفة بين نوعية العمارة في سلمية أو في أي مدينة أخرى ، و ربما نجد في سلمية بعض الأعمال تفوق مثيلتها في المدن ، و هذا ناتج عن أفكار المهندس المصمم ، و رغبة المالك بالتجديد و التطوير ، و لم يعد البلاط و أغلب الرخام يأتي من خارج سلمية بل انتشرت معامل البلاط و مناشر الحجر و الرخام بأعداد تغطي حاجة سلمية و حاجة القرى التابعة لها ، و النعلة المصنعة من بلاط الموزايكو شبه اختفت من سوق العمارة حيث حل محلها أنواع و تشكيلات كثيرة من النعلات المصنعة من السراميك سهلة التركيب ، و منظرها يناسب الأرضيات و ألوانها عديدة تتناسب الجميع .

٦- تغطية الجدران و الأسقف:

كانت الحاجة ماسة لتغطية الجدران المبنية من الداخل و الخارج منذ بداية البناء في سلمية للقباب و الغرف، و فعلاً كانت التغطية بطبقة من الخلطة الطينية بطبقة رقيقة لمنع تواجد الحشرات في الجدران و لإعطاء الجدار منظرًا مقبولاً ، و بعد هذه التغطية ترش الجدران الداخلية و الخارجية برائق الكلس لكي تتم عملية التعقيم و اللون الأبيض الناتج عن رائق الكلس يريح النفس و يعطيها البهجة و الطمأنينة ، و هو عاكس جيد لأشعة الشمس الحارة في الصيف ، و مع دخول الإسمنت في أوائل ثلاثينات القرن الماضي إلى سلمية ، تحولت عملية تغطية الجدران إلى الخلطة الإسمنتية (رمل + إسمنت + ماء) و صارت تحل محل الخلطة

الطينية بالتدريج ، و في أول استخدام كانت تغطي الجدران الطينية لارتفاع متر و نصف ، ثم كامل الجدار من الداخل و الخارج ، و في الجدران المبنية من الحجر ، و في منتصف القرن الماضي صارت تغطي بالخلطة الإسمنتية (تليس) و بعضها يرش بالكلس ، و البعض الآخر يبقى الجدران الحجرية المليسة كما هي ، و عند دخول البلوك الإسمنتي و بناء الجدران فيه صارت الجدران الداخلية و الخارجية يتم تلييسها بالخلطة الإسمنتية ، و أحياناً يرش على الجدران الخارجية رشة إسمنتية (رشة تيرولية) تتكون من (الإسمنت الأبيض + الرمل الناعم + صبغة لون حسب الرغبة) البعض اتجه إلى تغطية الجدران الخارجية بالحجر المنحوت أ و بلاط السيراميك ،أو بلاط من الرخام ، أو بتداخل الثلاثة مع بعضهم ، و أظن أن التليس بالإسمنت سيبقى هو الأفضل و الأكثر انتشاراً ، و هو الأقدر على مقاومة العوامل الجوية و فروق درجات الحرارة في منطقتنا ، و للعلم في أواخر ثمانينات القرن الماضي دخلت إلى سلمية بعض مواد تغطية الجدران و الأسقف ، و لكنها لم تستمر طويلاً بسبب زوالها أو تخريبها بعد فترة قصيرة ، و هذه المواد كانت تدعى (التليس بالغرانيت) و هي عبارة عن بقايا جرش الرخام مضاف إليه عناصر كيميائية للصق الرمل مع بعضه و على المكان الذي سيلصق عليه ، و قد كان منظر هذه المواد جميلاً و ألوانه مختلفة ، لكنه اختفى من سوق العمارة هذه الأيام ، أما السيراميك الذي نراه اليوم يغطي أغلب واجهات المباني بألوانه الزاهية و منظره الجميل ، غير أن طريقة تركيبه ليست مناسبة لسلمية و ذلك لاختلاف درجات الحرارة الكبير بالصيف عنه

بالشتاء ، وبين الليل و النهار، وأحياناً يصل الفرق لأكثر من خمسة و عشرين درجة مئوية ، و هذا يؤثر على تماسك مونة اللصق ، و بخاصة أن بعض معلمي تركيب السيراميك ، لا يهتمون كثيراً بعملية نفع السيراميك بالماء قبل التركيب و لمدة كافية ، و لهذا نعتقد بأن عمر هذا السيراميك الذي يغطي الواجهات قصير ، و في بعض المباني التي مر عليها عدة سنوات بدأت بعض البلاطات بالتساقط ، و على الأغلب بعد سنوات قليلة ستزول كل بلاطات السيراميك ، و هذا يؤدي إلى خسارة مادية و خسارة الوقت و الجهد المبذول في التركيب ، و المطلوب البحث عن طرق جديدة و جادة لتركيب السيراميك لحماية الساكن و الشارع من خطر سقوط البلاط ، و هناك العديد من طرق التركيب تستخدم في الدول المتقدمة و في الدول التي تتعرض لفروق حرارية كبيرة ، يمكننا الاستفادة من تلك الطرق التي باتت معروفة لكثير من المهندسين الذين عملوا و لسنوات عديدة في دول الخليج العربي و في البلدان الغربية ، و أهم هذه الطرق هو البناء على شبكة معدنية مثبتة على الجدران (تم تركيب بلاطات على نفس الطريقة في أحد مشاريع الدولة في سلمية ، و هذا المشروع لا زال العمل فيه قائماً و لم ينجز بعد) ، و هناك طريقة التثبيت بواسطة البراغي الطويلة و الخوابير و هي طريقة جيدة إذا ما قورنت بما يستخدم الآن في التثبيت .



واجهة غرف مبنية من الحجر و مليسة بالإسمنت (سلمية)



واجهة حجرية مع عقود شبابيك و أبواب من الحجر الأبيض ، و الواجهة مليسة و مرشوشة بالرشة التيرولية (سلمية) و يلاحظ الفرندة المستندة على أظفار حجرية .

مبنى البلدية القديم (مقر فرع العاديات اليوم) حجر كلسي أبيض.



واجهة مبنى حديث مؤلفة من بلاط السيراميك الأزرق ممزوج مع الحجر المنحوت ، و عقود الشبابيك و الأبواب من الحجر (سلمية) .

٧- الأبواب و الشبابيك:

كانت الأبواب و الشبابيك و ما تزال ضرورة معمارية في أي مبنى مشيد ، فالأبواب وجودها ضمن الجدران هام جداً للدخول و الخروج و لتأمين الحركة بين وحدات المبنى ، و الشبابيك أهميتها لا تقل عن أهمية الأبواب ، و الغرف بحاجة لتهوية و لدخول أشعة الشمس إليها لتبويرها نهائياً ، و في الليل تسمح بمرور الهواء ، كما أنها تعطي السكان شعوراً جيداً بارتباطهم مع العالم الخارجي ، و ليس ضمن أربعة جدران صماء ، و كلما كانت الشبابيك و الأبواب واسعة و كبيرة كلما حققت الهدف من وضعها في أمكنتها المخصصة ضمن الجدران ، و اتساع الأبواب يسمح بمرور السكان و حاجياتهم بسهولة و يسر . بدأت الأبواب بتركيب قطع خشبية على عارضة ، بقياس أكبر أو أصغر من فتحة الباب ، و المهم أن تغطي هذه القطعة المصنعة قدر الإمكان فتحة الباب ، و كانت مفصلاتها تصنع من الجلد و تثبت بالمسامير الفولاذية بين حاجب الباب و درفته ، و لم يكن هناك أقفال و لا مفاتيح ، و بعد فترة زمنية تطورت فكرة الباب إلى ما يشبه الباب الحالي ، و صار مؤلفاً من ألواح خشبية نظيفة مترابط مع بعضها بالتثبيت و بالتعشيق أحياناً ، و دخلت الأقفال إلى الأبواب و كانت مصنوعة من الخشب و بحجم كبير ، و المفتاح عبارة عن قطعة خشب بطول ثلاثين سنتيمتر و بعرض و سماكة ثلاثة سنتيمترات و مثبت بأحد أطرافها عدد من المسامير الفولاذية المقصوفة ، و هذه المسامير يقابلها في القفل مسامير على مسافتها عندما يدخل

المفتاح و يحرك للأعلى قليلاً ترتفع مسامير القفل فيفتح و يسحب اللسان ، و دام هذا النوع من الأقفال لفترة طويلة و بقاياه كانت لا تزال تعمل حتى أواخر ثمانينات القرن الماضي ، و لكن انحصر مكانها في القباب الطينية و في البيوت الطينية المخصصة للمواشي و أعلافها ، ثم جاءت الأقفال المعدنية العادية و مفاتيحها الكبيرة ، و تطورت هذه الأنواع حتى صار من الصعب حصر أنواعها و طرق تركيبها ، و تنوعت الأخشاب الداخلة في تصنيع الأبواب ، و منها (مصمت الخشب ، و منها الكبس ، و أنواع أخرى عديدة) و صارت سمة الأبواب الخشبية المتانة و جمال الصنعة و الديكور المتنوع ، ثم اتجهت صناعة الأبواب و الشبابتيك إلى الحديد المشغول ، و أضيفت إلى هذه النماذج الزخارف المصنوعة من الحديد . و أبواب الحديد و الشبابتيك تعتبر مقاومة للعوامل الجوية أكثر من الخشب ، كما أن تكلفة الباب المصنوع من الحديد أقل من المصنوع من الخشب ، لكن الأبواب و الشبابتيك المعدنية صعبة الاستعمال ، و فيها شيء من الخطورة على الأطفال ، ثم أضيف للأبواب و الشبابتيك الزجاج ، و صارت درفات الشبابتيك المركب عليها الزجاج أخف وزناً من الأولى ، و الأبواب كانت تصنع بارتفاع يتجاوز ثلاثة أمتار أحياناً و ذلك لأن الجدران مرتفعة ، و فتحة الباب يجب أن يكون ارتفاعها ضمن نسب ارتفاع الجدران ، و ضمن هذا الارتفاع تقام الشراعة الموجودة أعلى الباب ، و لما انخفض ارتفاع الجدران ، انخفض ارتفاع الباب بالتالي ، و منذ سنوات قليلة بدأت مادة الألمنيوم بمقاطعها المتنوعة بالدخول إلى العمارة في سلمية ، و تحولت الشبابتيك المصنعة من الخشب و الشبابتيك

المعدنية ،إلى شبابيك مصنعة من الألمنيوم و في البداية دخلت خجولة و بعد أن أثبتت جدارتها ، و متانتها و جمالها ، و سعرها المعقول ، انتشرت في أغلب المباني السكنية و صار من النادر رؤية شبابيك مصنعة من مادة غير الألمنيوم إلا أنه في بعض القرى لازال الاعتماد على الشبابيك و الأبواب المعدنية هو الأقوى و الأعم ، و في قرى أخرى تنوع الاستخدام بين الألمنيوم و بين الحديد ، لكن استعمال شبابيك الخشب في سلمية و قراها صار نادر الوجود ، و في البداية أول ما استخدم هو الألمنيوم الفضي العادي ، ثم تبدلت الأحوال و دخلت السوق أنواع كثيرة من الألمنيوم ، و تعددت الألوان و صار بالإمكان اختيار أي لون للألمنيوم المستخدم ، و تطورت الأقفال و المفصلات التابعة لتصنيع الأبواب و الشبابيك من مادة الألمنيوم ، و تعددت أنواع الزجاج المستخدم من مانع رؤية إلى المحجر إلى غيره من الأنواع ، و كذلك تعددت ألوان الزجاج و صارت تناسب أذواق الجميع .



باب بيت رئيسي من الخشب المصمت ، و فيه قليل من التشكيل ، أعتابه قطع من الحجر الأبيض. (سلمية).

قبل أن نختم فقرة الأبواب و الشبابيك علينا تذكر بوابات البيوت الرئيسية تلك البوابات الكبيرة و التي تسمح بمرور العربات و المواشي إلى داخل أسوار البيت ، انتشرت هذه البوابات منذ صار للبيت السكني سور من اللبن الطيني و آخر من الحجر ، هذه الأسوار كانت تحيط بالبيت وبينها و بين الغرف فسحة فضائية ، و البوابات كانت مصنعة من الخشب بارتفاع لا يقل عن ثلاثة أمتار ، و عرض يقارب الارتفاع ، و في نفس

البوابة يوجد باب صغير ارتفاعه لا يتجاوز المتر و نصف المتر لكي يتمكن سكان البيت من الدخول و الخروج دون حاجة لفتح البوابة الكبيرة ، و هذا النوع من الأبواب سمي (باب خوخة) ، و العتب الموضع أعلاه كان من الحجر (قطعة واحدة ربما كانت عمود بازلتي أو مقطع حجري يناسب عرض الباب) ، بقي هذا النوع من الأبواب مستخدماً حتى انتهت تربية المواشي في البيوت السكنية في سلمية و لم تعد هناك حاجة للعربات الكبيرة التي كانت تقوم بمهمة جلب المحصول (القمح و الشعير و التبن و علف المواشي) ، و لما خلت بيوت سلمية من كل تلك الحاجات التي كانت ضرورية يوماً ، لم تعد هناك حاجة لباب الخوخة ، إلا أنه في القرى التابعة لسلمية حتى اليوم يمكننا مشاهدة أبواب الخوخة تعمل ، و يدخل عبرها الجرار و المواشي ، و حتى داخل سلمية يمكننا رؤية عدد قليل لا يتجاوز الخمسة من تلك الأبواب ، لكنها لم تعد تعمل و إنما بقيت مثبتة بالجدران ، و صارت أبواب صغيرة و جديدة موجودة لتسهيل الدخول و الخروج .



بوابة بيت (باب خوخة) و العتب عبارة عن قطعة خشبية طولها أكبر من
فتحة الباب (سلمية) سماكتها بحدود ٢٥سم .

٨- الأعتاب و الأدرج:

للأعتاب ضرورة معمارية و إنشائية فوق الأبواب و النوافذ ، في الأيام الأولى للعمارة في سلمية كان العتب فوق باب القبة عبارة عن قطعة من جذع شجرة ، و في الغرف رباعية الشكل صارت الأعتاب تستخدم من جذوع الأشجار الجافة ، و من قواطع الحجر المتواجدة بكثرة في الأماكن الأثرية في سلمية ، و في فترات لاحقة ظهرت أعتاب من الحجر المقطع تركيب على شكل عقد أو بشكل مستقيم و بطريقة تشبه إلى حد بعيد طريقة (الصنجات المزرة) و لكن بأسلوب أسهل و أماكن التعشيق تعتمد على أوزان القطع الصغيرة التي تشكل في النهاية عتب يماثل القطعة الواحدة في المتانة و قدرة التحمل ، و كان يترك قسم من هذه الأحجار بارزة عن الجدار لتعطي منظراً جميلاً و مميزاً عن غيره ، و في بعض الأماكن استخدمت قطع من الأعمدة البازلتية لتكون عتب لباب و شباك ، و ظهر استخدام الحجر الأبيض المنحوت كعتب خلال أربعينات و خمسينات القرن الماضي ، فكان يعمل من هذه الأحجار قطعة واحدة أو عدة قطع لعتبة واحدة (كما ذكرنا) و القطعة الواحدة أكثر ما استخدمت في العتبة المستقيمة ، و القطع دخلت في التشكيلات الديكورية للعقود الكبيرة و الصغيرة ، و لكون الحجر الكلسي حجر ضعيف إذا ما قورن بالبازلتية ، لذلك راعى المعمار هذه الناحية فزاد في السماكة و الارتفاع مما عوض هذا الضعف و خاصة في عقود الأبواب الواسعة و التي لا يمكن إنقاص عرضها لأسباب وظيفية ، و هي تمكين المستخدم من التحرك من خلال

الباب بسهولة و يسر مع حوائجه الخاصة أو بدونها ، و لهذا جاء الحل المعماري باستخدام العقود لأن شكل القوس أو العقد جيد الاستخدام إنشائياً، فهذا الشكل يقوم بتوزيع الأحمال الواقعة عليه بضغوطاتها و إجهاداتها و نقلها إلى الطرفين المرتكزين على طرفي الجدار الملاصقين لفتحة الباب ، ومع دخول البيتون المسلح إلى سلمية حلت هذه المشكلة و غيرها من المشكلات الإنشائية ، و صار تنفيذ الأعتاب أسهل و أيسر و أمتن من السابق ، و أقل كلفة و أقصر مدة زمنية في التنفيذ.

في الأيام الأولى لنمو العمارة الريفية في سلمية ، لم يكن للأدراج أي دور حيوي ، و كانت السلالم الخشبية تحل محل الدرج في الغرف الرباعية عند الحاجة للصعود إلى سطحها ، بينما في القباب الصعود إلى الجدران لإجراء عمليات الصيانة أمر محلول بواسطة الأحجار المغروسة بالجدران فهي تقوم بالمهمة، و لا يستغنى عن السلم الخشبي لأن الارتكاز عليه أضمن للسلامة و أسهل للحركة ، ثم بنيت أدراج من اللبن الطيني بين القباب و للوصول لرأس القبة من خلال هذا الدرج أو لإنزال التبن و القش لتخزينه علماً للحيوانات ، حيث يرمى من فتحة برأس مخروط القبة و ما أن تمتلئ القبة بالتبن حتى تغلق الفتحة بالمونة الطينية ، و يصار إلى إفراغ التبن حسب الحاجة من فتحة الباب الذي يفتح دائماً للخارج ، و في البيوت المبنية من الأحجار استعمل و بشكل بسيط و نادر الدرج الحجري الضيق ، علماً أن نموذج الدرج الحجري كان موجوداً في قلعة سلمية و يصل الطابق الأرضي بالطابق العلوي ، و الحقيقة إنه كان يوجد بالقلعة

درجان و ليس واحد فقط ، درج من الجهة الغربية و آخر في الجهة الشرقية ، و الدرجان يصل إليهما من داخل سور القلعة ، و لنعرف الدرج كما ذكرت عنه المراجع اللغوية : درج البناء : هو مراتب فوق بعضها و مفردها " درجة" و الدرج هو السلم الذي يمشي عليه من الأسفل إلى الأعلى ، و من الأعلى نزولاً إلى الأسفل و من أسماء السلم " النقيير " ، و بيت الدرج ، أو غرفة الدرج هو المكان الذي يبنى فيه الدرج و يحتوي على الدرجات، و السلم هو ما يكون الصعود عليه ، سواء كان من الخشب أو الحديد أو غيره ، وقد وجد الدرج منذ القديم ، حيث كشفت التنقيبات عن وجود غرفة صغيرة ، أو جزء صغير من البيت يشغله الدرج ، و له مدخل خاص يطل على ساحة البيت ، و يبدأ بدرجات من اللبن و الآجر تختلف في الارتفاع ، و هو مشابه للدرج في بيوت المدن السورية ، و قد عثر في أحد البيوت في مدينة " نفر" على درج مع الاستراحة الأولى له ، و في أربعينات القرن الماضي ظهرت نوعية جيدة من الأدرج (مسبقة الصنع) و كثر استعمالها ، تلك المصنوعة من البيتون المسلح و مغطاة بطبقة من كسر الموزايكو ، و هذه الأدرج مقطّعة على شكل مثلث و مقاساتها ثابتة بالطول الذي لا يتجاوز ١٢٠ سم يغرس منه بالجدار حوالي ٣٠سم ، و بعرض ٣٠ سم ، و بارتفاع ٢٠سم ، تركيب الدرجات بواسطة غرس أحد أطرافها بالجدار ، و هي تغرس فوق بعضها و يبنى فوق طرفها المثبت بالجدار الحجر ، و استخدمت بشكل واسع و لا تزال كثير من الأدرج باقية حتى اليوم ، و مع بداية الستينات في القرن الماضي ، تحولت الأدرج إلى البيتون المسلح و

المصبوب في المكان ، و صار الدرج يصب مع السقوف و بمقاسات مناسبة مع تصميم المبنى و حاجة الساكن ، فتعددت النماذج و تبدلت الأبعاد ، و صارت للأدراج كسوة من بلاط الموزايكو في المراحل الأولى ، ثم كسيت بالرخام المتنوع الألوان ، و بعدها دخل بلاط السيراميك و صار له مكان و ظهر في العديد من المباني الحديثة ، و أخذت الأدراج أشكالاً متنوعة ، منها ذو الشكل المستطيل و الدائري و الأهليلجي ، و منها شواطه مسنودة على أعمدة و منها أدراج مستندة فقط على نقطتين واحدة بالسقف و الأخرى على القاعدة ، و في حال كان الدرج طويلاً يعتمد إلى وضع عمود استنادي تحت الاستراحة ، و في بعض البيوت استخدمت أدراج مصنوعة بالكامل من الأخشاب أو الألمنيوم أو الحديد المشغول ، و الدرايزين صنع أولاً من البلوك ثم تحولت صناعته إلى الأخشاب و الحديد و الألمنيوم ، و ازدانت الدرايزونات بالديكور المشغول و بالزخارف المتعددة .



درج من البيتون المسلح و المغطى بالموزايكو (مسبق الصنع) سلمية

.

٩-الفرندة :

عرفت الفرندات (الشرفات) العلوية في سلمية متأخراً ، أي بعد ظهور الأبنية ذات الطوابق المتعددة ، و ربما بقيت الفرندة (الشرفة) ظاهرة في جدار الواجهة (إذا كان البيت مؤلفاً من طابقٍ واحدٍ) و بقيت جرداء لم

تستعمل للغاية التي من أجلها صنعت ، و في أواخر الخمسينات من القرن الماضي ، ظهرت عدة مباني مؤلفة من طابقين ، و فيها ظهرت الفرندات (الشرفات) التي استخدمت للإطلالة على الشارع فالجلوس في الفرندة (الشرفة) له انطباع خاص ، و في بعض البيوت بنيت غرفة واحدة على السطوح ، في البداية كان تسقيفها يتم من جذوع الأشجار و ألواح الخشب و القصب ، و لها عدة شبابيك ، و كانت هذه الغرفة تخصص لصاحب البيت ينام فيها طيلة أيام السنة ، وأمام باب الغرفة تترك فسحة كبيرة صارت تقوم مقام الفرندة ، انتشر بناء الغرفة الواحدة على السطح و التي عرفت " بالعلية " لعلوها عن البيت الأصلي ، ثم اختفت بعد أن صارت الحاجة لعدة غرف ، و صار نظام الشقق هو الأعم ، و لم يعد هناك مكان للعلية .

١٠- التنور:

عرف التنور منذ قديم الزمان ، تغيرت أشكاله كثيراً ، و لكن المبدأ الذي قام عليه لا يزال كما هو حتى اليوم ، و هو يعتبر من العناصر الهامة في العمارة الريفية ، و هذا العنصر ضروري لكل بيت ، و نادراً ما يخلوا منه أي بيت ريفي ، و التنور هو المكان الذي يصنع فيه الخبز ، و ننال من خلاله رغيفاً شهياً ، و التنور يصنع من طينة غضارية خاصة ممزوجة مع رمل بازليتي، و يضاف إلى هذه الخلطة خيطان القنب المدقوقة (تزيد من تماسك الخلطة) و يعمل بطريقة مخروط دائري مفرغ ، فوهته العليا أصغر من السفلى و بسماكة لا تقل

عن ١٠ اسم ، ويثبت على الأرض بواسطة نفس الخلطة المصنع منها ، و يترك له فتحة صغيرة من الأسفل للتهوية و تنظيف الرماد ، ثم يبنى حوله باللبن الطيني ، و يعمل إلى جانب الفتحة العلوية مصطبة لوضع العجين و الخبز عليها ، و أحياناً تكون مكاناً لجلوس الأطفال الذين ينتظرون خروج الرغيف من داخل التتور ، و في المراحل التالية صار يبنى جدران عالية حول التتور ، فقط ثلاثة جدران و تترك الواجهة الأمامية بدون بناء ، و يسقف بجذوع الأشجار و القصب ، و التتور لا يزال يستخدم في عديد من القرى ، و أحياناً تجده داخل سلمية ، و كأن هناك عودة إلى رغيف التتور النظيف و الشهي و الذي يذكرنا بتاريخ الأجداد و ما عانوه من صعوبات كبيرة في سبيل تأمين مثل هذا الرغيف الذي يدوم عدة أيام ، و هو محافظ على جودته و طعمه المميز ، و الذي لا نجد مثيلاً له في الخبز الحديث.



التتور داخل معظم البيوت ، و تظهر المصطبة إلى جانبه (سلمية) .

١١- الطرق و الشوارع و الأزقة و الساحات :

الزقاق هو السكة أو الطريق سواء كان نافذاً أم لم يكن ، و الزقاق هو ممر ضيق ، و الكلمة الأكادية "سوكاك" تعني الزقاق ، و الشارع هو الطريق الأكبر ، و الطريق هو السبيل ، جمعه سبل و الشارع هو طريق واسع أفقي يتقاطع مع غيره من الطرق ، و قد كشفت التنقيبات عن وجود شوارع قديمة و طرق و أزقة و ساحات في كل المدن المكتشفة في سورية ، و لنتذكر الشارع الرئيسي في مدينة أفاميا ، و لنعلم عندها مدى أهمية الشوارع و الطرق في العمارة القديمة و الحديثة . بعد ظهور أولى معالم العمارة في سلمية ، حين خرجت بعض العائلات من القلعة تاركة السكن فيها ، بدأت هذه العائلات ببناء بعض القباب ليسكنوا فيها ثم ظهرت الغرف ذات الشكل الرباعي ، و تمدد البناء حول القلعة و بينها و بين الحمام و المسجد ذو المحاريب السبعة ، في تلك الأيام لم يكن هناك من يعير الطرقات و الأزقة أية أهمية ، و لم يحاول أحد أن ينبه أصحاب البيوت بضرورة ترك ممرات بين بيوتهم قادرة على تسهيل مرور العربات و الحيوانات و الإنسان ، لذلك ظهرت الطرق و الأزقة الضيقة و الملتوية حسب ما تصادف أمامها من غرف أو قباب فيتجنب الطريق وحدة السكن و يلتف حولها ، و هذا أمر طبيعي حدث في معظم المدن و القرى في بداية نشوئها ، و في وسط سلمية تركت ساحة كبيرة التقت حولها البيوت ثم الدكاكين ثم صارت هذه الساحة مركزاً لسلمية ، و منها تفرعت الشوارع و الطرق و الزوارب الضيقة هذه الساحة بقيت

أرضيتها ترابية إلى أوائل القرن العشرين حيث تم رصفها بالحجر البازلتي على هيئة مربعات مرصوفة من قطع الحجر (الكبيرة المنحوتة بوجه واحد يوجه للأعلى) كإطار للمربع ، و في داخل المربع تغرس أحجار صغيرة ثم ترص هذه الأحجار مع التربة حتى تتماسك جيداً و تتحول إلى قطعة واحدة ، و رصفت بنفس الطريق الشوارع الرئيسية بعد توسيعها و تسويتها ، و منها شارع حماه ، و شارع حمص ، و الشارع المؤدي إلى المخفر القديم ، و الشارع الموازي لشارع حماه ، و بعض الشوارع الفرعية الضيقة ، و عملت الأرصفة من الأحجار على نفس الطريقة التي استخدمت في الشوارع و الساحة .



ساحة سلمية العامة " منتصف الستينات" و تظهر الأحجار المرصوفة بشكل مربعات .

و مع مرور السنين ، و دخول المواد الجديدة في رصف الشوارع و الساحات ، غطيت جميع شوارع و ساحات سلمية بالإسفلت المجهول مع الحصى ، و الذي يفرش و هو حار ثم يرص بالمداحل حتى يأخذ شكله النهائي و يصير صالحاً للاستخدام ، و تصير حركة السيارات و الآليات عليه سهلة ، و الطرق الرئيسية التي تصل سلمية بالقرى بقيت ترابية حتى أواخر القرن الماضي ، يصعب المرور عليها في الشتاء و الصيف ، ففي الشتاء السيول و الطين ، و في الصيف الغبار و الزوابع و الأحجار و الصخور، بينما الطرق الواصلة بين سلمية و المدن غطيت بالإسفلت في النصف الأول للقرن الماضي ، و اليوم وصلت الطرق الجيدة إلى أبعد قرية من قرى سلمية ، و لأسباب عديدة أهمها الطرق الجيدة غيرت أحوال القرى ، وقربت المسافات بينها و بين باقي المدن في سورية ، و توفرت آليات النقل على مدار الساعة بينما كانت في السابق مناطق مقطوعة و خاصة بعد غياب الشمس ، و مع توفر المياه و الاتصالات و انتشار التلفزيون و محطاته التي لا تحصى صارت القرى كأنها أجزاء من المدينة ، و ما يطلبه المرء يجده فيها ، و باتت الفروق في المعيشة بين الريف و المدينة قليلة و يمكن تجاوزها لمن لا يستطيع ترك قريته إلى المدينة .

١٢- المدافن:

عمارة المدافن معروفة تاريخياً ، و لقد مرت بمراحل عديدة ، و كانت عمارة المدافن تأخذ طرز العمارة القائمة في البلد الذي تبنى فيه

المدافن ، و كانت الحضارات القديمة في سورية و مصر و العراق و بقية دول العالم ، تبني أنواعاً كثيرة و متنوعة من المدافن ، و كل حضارة تعطي المدفن من خصائصها و من أشكال عمارتها ، و من الأهرامات الفرعونية إلى مدافن الأنباط في الأردن و مدائن صالح ، إلى المدافن التدمرية و السومرية و الفينيقية و الرومانية و البيزنطية ، نرى أن هناك عناصر مشتركة بين الجميع و أهمها حسن المحافظة على جسد الميت و حفظه بعيداً عن الإنسان الحي ، و العنصر الآخر إعطاء شيء من الزخرفة و الديكور على أغطية القبور و قبابها ، حتى تزول حالة الخوف من الموت ، و يتحول شعور المشاهد إلى ما يشبه اللوحة .

ظهرت في سلمية عمارة المدافن في أربعينات القرن الماضي ، و لكنها بقيت بشكل فردي و تمثل بعض الأشخاص الذين لهم صفة اعتبارية في مجتمع سلمية ، و في كل مقبرة كان يتواجد عدد قليل لا يتجاوز عدد الأصابع من المدافن الكبيرة ، و الملفت في بعض المدافن الزخارف المشغولة على البيت الذي يحتوي القبر ، و كثرة الشبائيك المحمية بقضبان من الحديد المبروم ، و باب المدفن المصنوع من الحديد المشغول ، إن عمارة هذا النوع من المدافن بات نادراً ، و خاصة بعد إزالة المقابر من داخل سلمية و تحويل الدفن إلى مقابر بعيدة عن المدينة ، و بالقرب من شارع حماه لا تزال إحدى المدافن باقية كما كانت يوم بنيت .



مدفن/ عبارة عن مبنى مئمن و عليه قبة ، و الجدران مبنية من الحجر
الأبيض، عقود حجرية فوق الباب و الشبابيك. (سلمية).

أهمية دخول البيتون المسلح للعمارة في سلمية:

اكتشف الإسمنت (المادة اللاصقة في البيتون المسلح) قبل الميلاد ، و قد استخدمه الرومان في بعض المباني و بشكل بدائي بسيط ، و أما البيتون المسلح فقد تأخر اكتشافه و لم يدخل ميدان البناء إلا في عام ١٩٠٠م في أوروبا، و البيتون العادي هو عبارة عن خليط من عدة مواد أولية (الرمل و الحصى و الإسمنت و الماء) و بعد الخلط الجيد تتم عملية التماسك بين المواد المشكلة للخلطة ، وللخلطة للبيتونية خصائص كثيرة تمتاز بها عن المواد الأخرى ، فهي تأخذ شكل صلد و متين مع مرور الوقت تدريجياً ، و تبدأ بفترة التصلب الابتدائي ثم يتم التصلب التدريجي حتى الوصول إلى التصلب النهائي ، و البيتون شديد المقاومة للضغط ، و لكنه في نفس الوقت ضعيف المقاومة للشد ، و لذلك لا يمكن استخدام البيتون العادي في الأماكن التي تحدث بها اجهادات الشد (الجسور) ، و لهذا أضيف إلى البيتون العادي قضبان فولاذية بأطوال و سماكات مختلفة ، و ذلك لأن الفولاذ مقاوم ممتاز لقوى الشد ، كانت قضبان الحديد في البدء ملساء و أطوالها متعددة، ثم تحولت إلى قضبان محلزنة لزيادة تماسك الحديد مع البيتون العادي ، و هكذا تكون خلطة البيتون المسلح مؤلفة من (البيتون العادي + قضبان من الحديد) و البيتون المسلح مادة رائعة في مقاومتها للاجهادات المختلفة و المؤثرة عليها دخل سوق البناء أواخر القرن التاسع عشر ، و تم

استخدامه في تشكيل الجدران و أرضيات المباني ، و في الأعمدة و السقوف ، و في الجسور التي أقيمت على الأنهار .

خواص البيتون و مميزاته :

-: يتميز البيتون العادي بمقاومته العالية للضغط ، و لكنه ضعيف أمام قوى الشد .

-: يظهر البيتون تماسكاً قوياً مع قضبان الحديد / الفولاذ/ و لهذا فأن البيتون ينقل اجهادات الشد الزائدة و التي لا يستطيع مقاومتها بنفسه إلى القضبان الفولاذية المتميزة بمقاومتها العالية للشد.

-: إن معامل التمدد الطولي للبيتون و معامل التمدد الطولي لقضبان الحديد تقريباً متماثلين ، لذلك لا تظهر الاجهادات الداخلية في البيتون المسلح نتيجة تغيرات درجات الحرارة .

-: الإسمنت يحمي الفولاذ من الصدأ دون أن يتفاعل معه .

-:العمر الزمني للبيتون المسلح طويل ، و قدرته على مقاومة الحرائق و الحرارة العالية كبيرة ،و كذلك هو مقاوم جيد للحشرات .

-: البيتون المسلح سهل التشكيل و تكاليفه معقولة ، و هو اقتصادي على المدى البعيد .

-: أي جائز من البيتون المسلح و محمول على مسندين يعتبر مقاوماً للشد و الضغط أكثر بعشرين مرة من نفس الجائز بدون تسليح ، و

تلاصق البيتون مع حديد التسليح يعطي قابلية للمقاومة كبيرة ، و كلما كانت كمية الإسمنت في الخلطة جيدة و مناسبة النوعية زادت فترة حماية قضبان التسليح من التآكل و التخريب .

لقد توسع استخدام البيتون المسلح و بفترة زمنية قياسية و الأسباب ذكرناها (قوة التحمل ، مقاومة الحرارة العالية ، مقاومة العوامل الجوية المتغيرة ، قلة الكلفة ، سهولة التنفيذ ، توفر المواد المستخدمة في الخلطة البيتونية ، زمن تماسك البيتون مع حديد التسليح غير محدد) .

صحيح أن المنشآت السكنية المقامة في سلمية صغيرة إذا ما قورنت بالمنشآت السكنية في المدن السورية ، غير أن استخدام البيتون في سلمية (رغم الفوائد التي ذكرناها) قد حول عمارتها إلى عمارة مصممة متشابهة تفتقد الإحساس بالترابط مع الأرض ، و طبيعة سلمية الريفية ، و من يتأمل هذه الكتل الإسمنتية المنتشرة في كل أنحاء سلمية لا بد و أن يشعر بغربة هذه الأبنية عن الطابع السلموني و بعدها عن الفكر الثقافي العام في سلمية ، هذا الفكر المنفتح على جميع الثقافات المعروفة ، و هو المتحرر من الانغلاق و القيود و الأسوار الفكرية التي يمثلها البيت المؤلف من البيتون المسلح (نظام الشقق) ، و نحن نتمنى من جميع المهندسين المعماريين و الإنشائيين و باقي التخصصات التي لها علاقة بصناعة البناء في سلمية (تصميماً و تنفيذاً) الالتفات إلى عناصر العمارة القديمة و الأصيلة و المحلية في سلمية ، و أن يأخذوا منها الصالح و الملائم لاستعمالات الإنسان هذه الأيام ، و هذا يأتي بعد أن

تتم دراسة جميع المباني القديمة الموجودة ، و تحليلها تحليلاً علمياً دقيقاً ، و من ثم الاتجاه لإمكانية استعمال المعلومات المتراكمة سواء في نسب العناصر المعمارية أو استخدامها لمواد البناء المحلية (الحجارة ، اللبن الطيني ، الخشب و القصب ..) ، و يمكن تطوير اللبن الطيني بمحاولة زيادة متانته و تماسكه ، و بذلك يمكن لنا إيجاد الكثير من الحلول العصرية لمشاكل المباني الحالية (كالعزل الحراري ، و عزل الصوت ، و التهوية الجيدة ، و باقي المشكلات المعمارية و الإنشائية) ، إن من يراقب و يتفحص الأبنية القديمة و يرى عناصرها المهمة ، لا بد و أن يرى فيها بريق نور يضيء جوانب كثيرة من المعرفة المعمارية ، و سوف يلاقي في هذه العناصر الأمل الجديد في تحويل العمارة المغلقة إلى عمارة جيدة و مناسبة لسلمية و لعمارة الريف السوري كله ، و من الضروري العودة إلى العمارة السورية القديمة و دراستها من جديد ، ففيها الكثير من الحلول المعمارية للمشاكل في وقتنا الحاضر ، و قد تحتاج بعض العناصر إلى التعديل و التطوير و هذا طبيعي ، و العمارة اليوم تحتاج إلى مقومات عمارة التاريخ القديم حتى تكتمل الحلقة المعمارية ، و التعديل أو الإضافة يجب أن يكون ضمن إطار المحافظة على روح العمارة القديمة إن كانت العمارة السورية أو ما كان متواجداً منها في سلمية ، و من الطبيعي الاستعانة بالخبرات الفنية التي قامت في البلاد العربية ، للعودة لعمارة الريف الحقيقية (عمارة الفقراء) تلك التجارب التي هدفت إلى الأخذ من العمارة العربية القديمة مكونات و عناصر و إدخالها في العمارة الحديثة بطرق و وسائل مناسبة تضيف جمالاً على عمارة اليوم ، و

لا تبخل عليها من وجود الحلول الناجعة لمشاكل حديثة يصعب حلها عن طريق البيوتون المسلح (كلفة البناء ، المواد المستخدمة و أثرها على البيئة ، العزل الحراري ، التهوية ، الجمالية ..) .



بناء جديد إلى جانب بيت قديم متهدم لم يبق فيه سوى بعض الملامح المعمارية (سلمية) .

في نهاية هذه الفقرة نقدم نموذجاً للعقل العربي المبدع الذي جاهد عمره في سبيل تأمين بيوت ريفية بأقل تكلفة ، و أجود صناعة ، و هذه البيوت قد نفذت كما كان متوقفاً ، و كان فيها إبداع معماري جديد ، هذا هو عقل المهندس (حسن فتحي) صاحب كتاب " عمارة الفقراء " ، و هو صاحب انجازات معمارية هامة و كبيرة في مصر وفي البلاد العربية ، و سنفرد له بضع صفحات قد نتمكن من خلالها إعطاء هذه الشخصية حقها ، لما لهذا الإنسان من مكانة علمية مرموقة ، هذا المهندس المبدع طرح

مفاهيم معمارية جديدة تتعلق بالشكل و الفراغ و تأثير المخزون الثقافي للحضارة العربية ، و لقد حاول تطبيق إبداعاته على نطاق واسع ، و لكن أعماله بقيت ضمن تأثيراتها الدينية و المحلية و عمق ذلك التأثير و شموليته .



بناء مؤلف من طابقين مبني من الحجر و الطين ، الشبابيك الخارجية فقط بالطابق الثاني (سلمية) .

مراحل تطور البيت السكني في سلمية :

قلنا أن البيت السكني في منطقة سلمية مر بمراحل عديدة أدت في النهاية إلى وجود بعض النماذج أخذت تشكل وخلال سنين عديدة طابعاً للعمارة في سلمية ، إذا كان بالإمكان إطلاق هذه التسمية على ما هو موجود من مباني سكنية في سلمية و قراها ، و لا شك بأن بعض البيوت فيها و التي بنيت قبل دخول البيوتون إلينا، تعطي انطباعاً خاصاً بأن عمارة تلك البيوت هي مأخوذة من عمارة بيوت المدن ، و فيها من صفات بيوت المدن الكثير مثل توزيع وحدات البناء في البيت ، و ارتفاع المبنى ، و توضع الأبواب و الشبايك ، و في هذه العمارة أيضاً من العمارة الريفية البسيطة و المحددة بحاجة صاحبها ، و ثباتها ضد التطور و التبدل ، و هنا لزم علينا التعريف بهذه العمارة و مراحل تطورها و أن نقسمها إلى خمسة مراحل نحاول تحييد المباني على أساسها و حسب كل مرحلة علماً أن هذا على أرض الواقع مستحيل للتداخل الغريب في البناء و نوعيته و مواد البناء الداخلة فيه ، و هذا التداخل على ما أعتقد سببه الحالة المادية المحدودة لسكان المناطق الريفية بشكل عام و لسلمية بشكل خاص ، و كما هو معروف إن قيمة العمارة بتكالييفها ، و لهذا كان من الممكن اعتبار هذه المراحل و تقسيمها فقط للتعريف و للتوضيح و لمتابعة التغيير و التبدل الذي حصل و لتبيان الفرق بين عمارة اليوم و العمارة التي كانت في بداية خمسينات القرن التاسع عشر .

المرحلة الأولى :

هذه المرحلة رغم فقرها لكل معاني العمارة فهي مهمة جداً ، لأنها تعتبر الخطوة الأولى التي خطاها أهل سلمية نحو بناء البيوت السكنية و تأهيلها للتطوير فيما بعد ، و تبدأ هذه المرحلة من عام ١٨٤٨ م و تمتد حتى عام ١٨٦٥ م ، تبدأ من يوم وصول الدفعة الأولى من الأهالي إلى سلمية و سكنهم القلعة ، ثم الانتشار حول القلعة بمساكن بسيطة بنيت من الحجر و اللبن الطيني و قباب مبنية من اللبن الطيني ، تناثرت عمارة البيوت بشكل عشوائي حول الحمام الأثري و بينه و بين المسجد ذو المحاريب السبعة ، في هذه الفترة تداخلت البيوت مع بعضها البعض ، و لم يكن هناك أية فواصل بين وحدات البناء ، تلاصق الكثير من القباب و الغرف ،مع أنها قد تعود لمالكين مختلفين ، و هذا دافعه الخوف من المنطقة الجديدة التي سكنوها ، و ضرورة تأمين الأمن و الراحة هي العامل الأساسي في تكوين وحدات البناء ،لقد كان الشعور لدى السكان مريحاً بقرىهم من بعضهم البعض ، و كأنهم عائلة واحدة ، و فعلاً كان الشعور تلك الأيام بأن الجميع ينتمون لعائلة واحدة ، أوصلتها الظروف إلى هذا المكان و الذي يعتبر آخر المطاف بعد رحلة العودة و ما تعرضوا له فيها من مخاطر و أهوال ، و بعد أن تشتتوا في مناطق كثيرة و بعيدة عن بعضها البعض ، و لما عادوا إلى سلمية أخيراً قادمين من أماكن و مناطق مختلفة جغرافياً، لا توجد أهمية معمارية خاصة لهذه الفترة إذا استثنينا فكرة العمارة الطينية ، في هذه الفترة لا يلاحظ وجود أبواب كبيرة و لا شبابيك ، و الأبواب كانت على الأغلب من جلود الحيوانات ، و ربما وجدت بعض الأبواب من الخشب الطبيعي و المصنع بطرق بدائية .



"سمندرة" فتحة جدارية غير نافذة .. (سلمية)

المرحلة الثانية :

تبدأ من عام ١٨٦٥ م و تستمر حتى عام ١٩٢٠ م ، يلاحظ ظهور أبنية ذات شكل رباعي مبنية على نسق واحد مع مقاسات للغرف شبه واحدة .

-: في هذه المرحلة بنيت المدرسة الزراعية في سلمية ، و تعتبر أول مدرسة زراعية تبنى في سورية .

-: عرض الغرف المبنية يناسب أطوال جذوع الأشجار المتوفرة تلك الأيام .

-: وجود فتحات (تجاويف) غير نافذة لخارج الجدران ، و هي ذات شكل رباعي ، و بعضها رباعي مع نصف دائرة بالضلع العلوي ، هذه التجاويف عمقها بحدود ٢٥ سم داخل الجدار ، و بعضها كبير و آخر صغير ، تستخدم تلك التجاويف (السمندرة) في وضع أدوات النوم (فرش ، ومخدات و توابعه) و المصابيح ، و بعضها يستخدم كخزانة داخل الجدار يوضع فيها بعض الأواني الزجاجية (خريستانة) عرضها حوالي مترين و ارتفاعها مترين و نصف .

-: الأسقف المبنية من اللبن الطيني ، و القصب المفرغ المتعامد فوق جذوع الأشجار ، و عليه الرمل تحت الخلطة الطينية .

-: الجدران من اللبن الطيني ، و بعضها من الأحجار ، و الجدران مليسة من الداخل و الخارج و مدهونة بالكلس المطفاً (الحوارة) و ارتفاع الجدران يتجاوز ٤,٥ م .

-: خصصت غرف لإقامة أهل البيت ، و القباب صارت مستودعات و أمكنة مخصصة للطيور و الحيوانات الأليفة .

-: ظهور تواليت (مرحاض) بشكل بسيط و صغير و بعيد عن غرف السكن ، و تحته تكون حفرة التصريف .

-: وجود أبواب صغيرة بين الغرف مهمتها تسهيل المرور و التنقل بين الغرفتين المتجاورتين ، و مجرى للهواء النظيف في أيام الصيف الحارة و مقاس هذه الأبواب لا يتجاوز المتر ارتفاعا ، و المتر عرضاً .

-: ظهور آبار المياه في بعض البيوت ، تستخرج المياه عن طريق الدولاب و السطل ، و البيوت الباقية بقيت تعتمد على مياه الأفنية .

-: أساسات الغرف الحجرية ظهر قسم منها فوق الأرض و بقي الجزء الأهم المرتكز على التربة الصالحة للتأسيس ، و أرضيات الغرف ترابية ترص بعد رشها بالماء .

-: عدم وجود غرف مخصصة للطبخ أو للغسيل ، الطبخ يقام في الهواء الطلق و بعيداً عن الغرف ، و كان يتم على مواقد مصنوعة من الخلطة الطينية ، و الوقود عبارة عن جذوع الأشجار اليابسة و روث الحيوانات المجفف .

-: الإضاءة بواسطة مصابيح تعمل على زيت الزيتون و الفئيل ، و بعض الشموع المصنوعة محلياً و من دهن الحيوانات و شمع النحل مع

الفتيل ، لا يوجد سور للبيت يفصله عن غيره من البيوت و الاتجاهات كلها مفتوحة .

-وجود التنور المخصص لإعداد الخبز في معظم البيوت ، في هذه الفترة شكله بسيط (قليل الارتفاع عن الأرض ، تستخدمه النسوة و هن جالسات) .



قناطر (جملونات) متكررة حاملة لسقف من الخشب و القصب..(سلمية)

المرحلة الثالثة : من عام ١٩٢٠ إلى ١٩٤٨ م .

في هذه المرحلة ظهرت احتياجات جديدة ، منها الحاجة إلى غرف منفصلة للضيوف ، و في هذه الفترة كانت الأحوال المادية جيدة في منطقة سلمية فالوضع الاقتصادي منتعش و متحسن و ظهرت القوة

المالية بشكل واضح ، و انعكس هذا على عمارة البيوت حين توسع البيت ليضم وحدات جديدة لم تكن ضرورية في المراحل السابقة ، و في هذه المرحلة تداخلت غرف الحجر مع غرف الطين و القباب ، أحياناً تجد النماذج الثلاثة في نفس البيت ، و هذه المرحلة مهمة جداً ففيها ظهرت بعض البيوت الجميلة معمارياً و هي التي تحمل الطابع الخاص بسلمية و ريفها .

-:ظهرت أول خلطة إسمنتية و استخدمت في أرضيات الغرف و المصاطب التابعة للغرف و المخصصة للمعيشة .

-: تحسنت نوعية الأخشاب المستعملة في التسقيف (سطام خشب مقاوم للرطوبة " جر النهر") .

-: كثرت الحاجة للخزائن في الجدران ، و صار لبعضها درفات خشبية مع الزجاج.

-:الأبواب و الشبابيك الخشبية صارت أوسع ، و تعددت في الغرفة الواحدة ، و دخلت قضبان الفولاذ المبروم في تشكيل حماية للشبابيك من الخارج .

-:لا يزال الطبخ يتم على المواقد الطينية أو الحجرية ، و لا يزال الحطب هو المستخدم .

-:ظهرت للبيوت أسوار ، و صار كل بيت منفصل عن غيره .

-: حمامات الغسيل غير متوفرة في هذه المرحلة ، و الاستحمام و غسل الثياب يتم داخل الغرف .

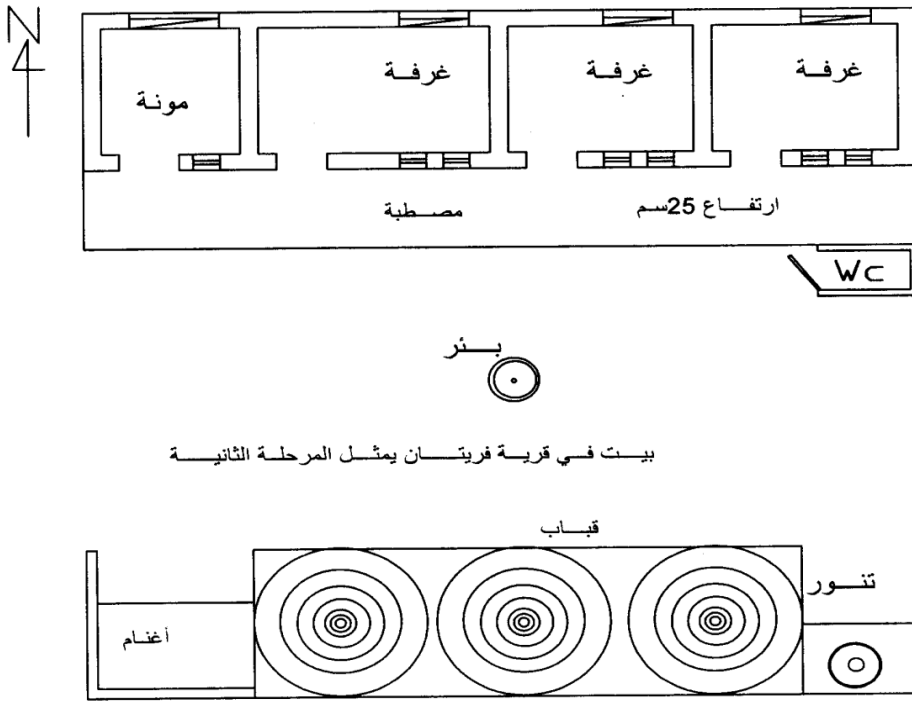
-: تحسن وضع التتور و أخذ شكله الطبيعي و الدائم ، و بنيت حوله جدران عالية و سقف بالقصب .

-: لا تزال الأماكن المخصصة للمواشي و الطيور الداجنة ، و للعلف موجودة داخل البيت و إلى جوار السكان و تحت رعايتهم .

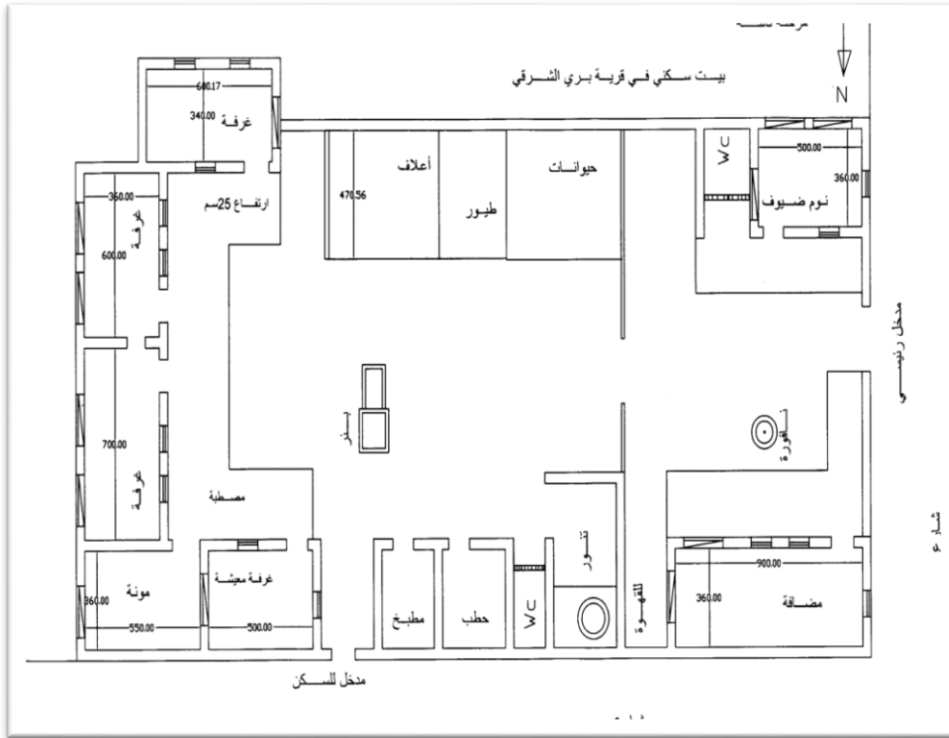
-: خصص في بعض البيوت قسم مستقل عن البيت للضيوف و إقامتهم.

-: ظهرت الطرمبة الحديدية و التي تستخرج المياه من الآبار بطريق الدق اليدوي ، و ظهر الجرن المبني تحت الطرمبة لتخزين المياه لوقت الحاجة ، و ذلك في بعض البيوت.

-: الإنارة لا تزال كما هي ، وقد دخلت مصابيح قليلة تعمل بواسطة النفط (زيت الكاز) .



مسقط أفقي لبيت يمثل المرحلة الثانية .. (قرية فريتان)



مسقط أفقي لبيت يمثل المرحلة الثالثة .. (قرية بري الشرقي)

المرحلة الرابعة :

حتى نهاية خمسينات القرن الماضي.

- : تم رفع البيت عن الأرض زيادة في حمايته من السيول و الأمطار .
- : لا تزال البيوت تحتوى على أماكن مخصصة للمواشي و الطيور و أخرى للعلف و لا تزال جدران الغرف عالية .

-: ظهور غرفة خاصة للطبخ و لصنع القهوة ، و في هذه الغرفة توضع حواصل القمح و الطحين و السمن .

-: البئر و طرمبته اليدوية صارت متواجدة في أغلب البيوت .

-: لا يزال التتور موجوداً في معظم البيوت .

-: ظهر الإيوان في بعض البيوت و هو يتوسط الغرف ، و ليستخدم كمكان شبه مكشوف للمعيشة و النوم (في أيام الصيف الحار) .

-: كثرت زراعة الأشجار و الورود و الخضروات داخل البيت ، و الري يتم من مياه البئر .

-: صارت السطوح تغطى بالخلطة البيتونية العادية .

-: اكتمل بناء السور حول البيت ، و ظهرت الاستقلالية بالسكن ، و انفردت المنازل عن بعضها البعض .

-: أغلب الإضاءة في البيوت و الشوارع بالمصابيح التي تعتمد على زيت الكاز" ، منها المحمول و منها الثابت في مكانه .

-: لا تزال الغرف هي مكان الاستحمام ، و أواخر هذه الفترة دخلت بعض البيوت الحمامات الخاصة و بمساحة صغيرة خصصت للاستحمام و غسيل الثياب .

-: لا تزال المواشي و الطيور من أهم الحاجات الضرورية في البيت ، و الاهتمام بهم و بإنتاجهم في ازدياد .

-:ظهر قسم من بعض البيوت خصص للزراعة و تربية الطيور (حاكورة) .



سقف غرفة محمول على قنطرة من الحجر .. (سلمية)

المرحلة الخامسة:

حتى نهاية السبعينات من القرن الماضي .

-: صارت الخلطة الإسمنتية هي المادة اللاصقة الرئيسية و هي السائدة في كل المناطق، و اختفت الخلطة الطينية إلا فيما ندر و في القرى البعيدة .

-: انتشرت البيوت المغلقة " الشقق " و تراجع تواجد البيوت ذات النظام المفتوح (بيت العربي) و إن وجد شبيه له ، غير أن معالمه الأساسية قد فقدت ، و صار المبنى خالٍ من السمات الفنية الجيدة .

-: اتسعت الغرف و كبرت مساحتها نتيجة دخول البيوت المسلح بقوة إلى العمارة بشكل عام و إلى التسقيف بشكل خاص ، و غرف الضيوف هي الأكثر تميزاً بالأتساع .

-: لا تزال جدران البيوت عالية ، مع وجود الشقق الحديثة و ارتفاعاتها العادية ، و ظهرت المباني المؤلفة من أكثر من طابق .

-: تعددت مداخل البيوت ، و صار يوجد مداخل للأشخاص و أخرى للعربات و السيارات و صار يخصص قسم داخل البيت يستخدم كراج للسيارة .

-: بداية ظهور الأدراج المؤدية للطوابق العليا بشكلها المريح ، و بعضها تحول إلى أدراج من البيوت المسلح ، و خاصة في البيوت المبنية جدرانها من البلوك الإسمنتي .

-: يلاحظ وجود مطابخ داخل البيوت ، حيث بدأت بالظهور وحدات بناء خاصة بالمطبخ داخل المبنى ، و دخلت التمديدات الصحية منها تمديدات التغذية و منها تمديدات التصريف ، و دخلت المجالي المصنعة من كسر الموزايكو ، و كسر الرخام .

-: خصصت أمكنة للحمام و المرحاض (التواليت) قريباً من المطبخ و في الجهة الشرقية من المبنى، عكس اتجاه الرياح ، و مساحة الحمام و المرحاض صغيرة ، و ظهر البانيو و المغاسل المصنوعة من السيراميك ، و للبيت الكبير حمام واحد و مرحاض واحد .

-: صار مكان البيت في منتصف قطعة الأرض المخصصة له و المسورة من كل الجهات ، و حول البيت فضاء واسع يستخدم للزراعة (أشجار و زهور) .

-: البوابة الكبيرة " خوخة " لا تزال موجودة و ضرورية .

-: البئر لا يزال موجوداً في فضاء البيت ، و الطرمبة تضخ الماء اللازم لسقاية أهل البيت و مواشيه و طيوره و زراعته.

-: يلاحظ كثرة الأبواب بين الغرف و الموزعات ، صارت الأسقف مصنوعة من البيتون المسلح (بلاطة و جسور ساقطة) . و الجدران منها المصنوع من الحجر ، و منها من البلوك.

-: ظهرت الفرندات (الشرفات) الأرضية و في الطوابق المتكررة ، التي برزت للوجود في هذه الفترة .

-: تصريف المياه المالحه (المجاري) يتم إلى حفرة تصريف في فضاء البيت ، و البعض جعلها في الشارع ، و إلى جوار جدرانه الخارجية .

-:انتشر استعمال بلاط الموزايكو للأرضيات ، و بلاط البورسلان لجدران المطابخ و الحمامات و دورات المياه بارتفاع لا يتجاوز المترين .

-: التمديدات الكهربائية ظهرت معالمها على جدران و أسقف أغلبية البيوت ، ثم صارت تمتد داخل الجدران و الأسقف ضمن أنابيب من القصدير ملبسة من الداخل بالكرتون العازل .

-: ازداد استخدام التلييس للجدران و الأسقف و انتشر بين أغلب البيوت .

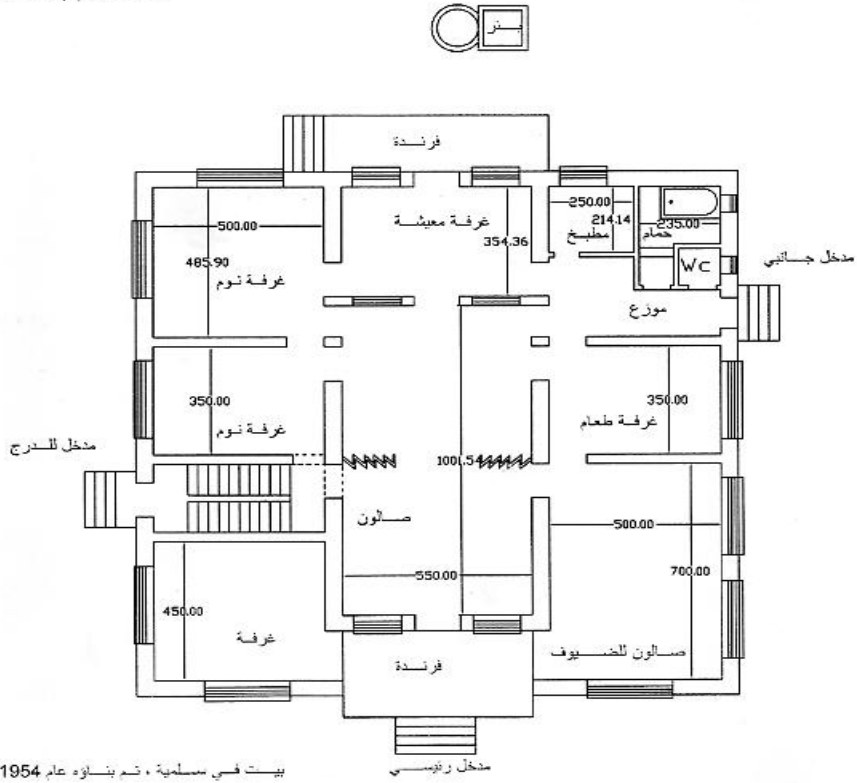
-: اختفت الأماكن المخصصة للمواشي و الطيور ، و مستودعات العلف .

-: ظهور المهندس الأكاديمي (خريج جامعة) و بداية استلامه لمهامه في التصميم و تنفيذ البيوت بطريقة علمية حديثة ، و من أوائل المهندسين في سلمية (شاهين عطفة ، حسن عيشة) ، و بعدهم جاء المهندس المعماري (أحمد سيفو) .

-: غطيت الشوارع بالإسفلت ، و صار لها أرصفة مخصصة للمشاة ، و امتد استخدام الإسفلت إلى الطرق المؤدية للقرى حول سلمية .

-: كثر تواجد الورشات المختصة بتنفيذ أعمال البناء المتنوعة (نجار ، معلم صحية ، و معلم بناء ، معلم تلييس ، نعلم بلاط ..الخ) .

منخل جانبي (بوابة كبيرة)



مميزات البيت الريفي:

يتمتع البيت الريفي بمميزات بيئية عديدة ، جدرانه المبنية من اللبن الطيني ، أو من الحجر بعرض يتراوح بين الـ ٤٠سم و ٦٠سم ، هذه الجدران تعتبر عازلة للحرارة و الصوت بشكل ممتاز ، فهي تؤمن الدفء في الشتاء ، و الجو المعتدل في الصيف (هذا نفتقده في البيوت البيتونية) و هناك السقوف المصنوعة من الخشب (جذوع الأشجار أو السطام) و فوق الخشب أغصان القصب المفرغ ، أو خشب اللات ، فهي تعتبر عازلة جيدة للحرارة و الصوت ، و السقوف العالية التي توفر تهوية مناسبة و خاصة أيام الشتاء حيث تغلق النوافذ و الأبواب طيلة الليل ، التهوية في البيوت الريفية أفضل منها في الشقق ، و خاصة بوجود عدة فراغات مساحتها أكبر من ١٥% من مساحة الجدران ، لذا فالفراغات تسمح بمرور الهواء وأشعة الشمس إلى كل ركن في البيت ، و هذا صعب توفره في الشقق البيتونية ، إن زراعة الورود و الزهور و الأشجار داخل البيت الريفي يزيد الإحساس بالراحة و الهدوء ، و مع وجود هذه الفوائد البيئية في البيوت السكنية الخضراء ، نرى أن وجود التنور داخل البيت الذي يقدم دائماً خبزاً صحياً نظيفاً طازجاً قد لا نستطيع تأمينه في البيوت المبنية من البيتون المسلح ، إن من أهم ميزات البيت الريفي هو استقلالته التامة عن بيوت الجيران ، و هو ما يمنح الساكن شعوراً بالملكية المطلقة لبيته حيث لا شيء مشترك بينه و بين جاره (تمديدات صحية ، تمديدات كهربائية ، الجدران المشتركة ، و الواقعة بين الشقق و سطوح

مشاركة) هذه الأمور المشتركة بين الجدران قد تتسبب بكثير من المشاكل ، و خاصة إذا تطلب من أحد الشركاء أن يجري بعض الإصلاحات أو التعديلات داخل بيته ، فلا بد وقتها من التعاون بين الجيران و المساعدة في تحمل نتائج العمل من ضجيج أو زحمة العمل و العمال ، و ما في ذلك من تعب و إرهاق ، إن علاقة الإنسان الريفي مع بيته المبني من مواد أولية يتعامل معها طيلة حياته ، و قد يكون هو من ساهم في بناء البيت ، و هو من زرع الورود و الأشجار ، و هو من رعى فيه المواشي و الطيور ، إن هذه العلاقة الحميمة بين الإنسان الريفي و بيئته فقدت اليوم أو كادت بسبب سيطرة الإسمنت على كامل العمارة الريفية و بالتالي على الحياة الريفية برمتها ، مما أثر بشكل مباشر على معيشتنا اليومية ، و قد غمرنا الإحساس الكبير ببعدها عن الأرض و تراث الأجداد الذي يجمعنا مع عراقية الماضي ، و ما نحن فيه اليوم من غربة ، لا تفترق عن غربة المسافرين عن بلده إلا أن الأخير حلمه بالعودة يعطيه الأمل ، بينما نحن في غربتنا لا أمل لدينا بعودة الريف إلى النقاء و الصفاء و الهواء النظيف الذي ضيعناه ، و ريفنا الذي عشناه أطفالاً بات خارج حياتنا ، و معيشتنا اليوم في هذه الظروف البيئية أشبه من يتواجد في كابوس دائم نخشى من استمراره إذا لم نعي واقعنا و نضع حداً سريعاً للتخريب البيئي في ريفنا ، و نحافظ على بقايا هذا الريف أخضر ، و لنساهم في تنقيته من الشوائب التي علقت به ، و ليكن شعارنا للمستقبل (الغد يجب أن يكون أفضل لأولادنا) ، و التطور جيد و مرغوب و مشجع عليه ، لكن هذا التطور يجب ألا يكون على حساب البيئة ، و بالتالي الإنسان الريفي واجب عليه

أن يكون عنصراً فعالاً في مجتمعه ، يحافظ على البيئة ، و يجتهد لإيجاد كل الحلول التي تطور البيئة نحو الأحسن و الأفضل ، و لا يكون كالموجود في محطة للسفر ، لا يكثرث بما حوله و لا يعنيه المكان و ما فيه ، و المباني الممتدة في سلمية بلا تفكير مستقبلي سوف تؤثر على تغيير البيئة، إن تحويل الأراضي الزراعية المحيطة بالمدينة إلى مناطق للبناء و إقامة الكتل العديدة من البيوتون المسلح ، تلك الأراضي التي كانت يوماً غنية بالأفنية التي تروي الإنسان و الحيوان و الأرض ، إن تحويلها لمناطق من البيوت المغلقة و إلى حجوم مشوهة من البيوتون مبنية بجودة متواضعة ، مفتقرة للحس الجمالي للعمارة الحضارية ، قد يؤدي في الأعوام القادمة إلى فقدان اللون الأخضر الذي عشقناه ، هذا اللون كان صفة بلدنا ، و كان يرافقنا في أحلامنا ، و في سفرنا ، و في عودتنا ، و من يتجول بين السدود العالية المبنية حالياً، و يرى تصاميم المباني المنفرة و تنفيذهما الرديء يتأكد أن التشويه قد حصل ، فواجهة البناء ببيضاء و إلى جانبها أخرى بنية اللون ، و ثلاثة حمراء أو زرقاء ، عمود بارز من الجدران ، و آخر غائر داخل الجدار ، ألوان غير متناسبة مع الشكل المعماري للمبنى ، و أغلاط تنفيذية كبيرة ، و الحزن الكبير على تلك البيوت القديمة التي كانت تحاكي حقبة تاريخية مهمة عاشتها المنطقة و قد زال أكثرها ، و شيد مكانها الأبنية البيتونية و طوابقها العديدة و المتكررة ، هذه الأبنية التي بنيت غطت الكثير من الآثار التاريخية و دفنتها تحت القواعد و الأساسات مما أفقدنا دلائل كثيرة ربما كانت أوصلتنا إلى الكشف عن حضارات قديمة عاشت على أرضنا ، و ربما استمرت لقرون ، لكن الجهل

بقيمة الأثر ضيع علينا فرصاً قد لا تتكرر . و لهذا فأننا نحتاج إلى نشر ثقافة أثرية و معمارية و بيئية شاملة وتكون جديدة بمضامينها و طرق طرحها ، فربما أدرك أولادنا مستقبلاً قيمة ما تحتويه أرضنا تحت الثرى أو ما يوجد فوقها ، و ربما صار الاعتناء بالتراث الوطني عادة طبيعية يمارسها كل مواطن في سلمية ، حتى يكون المستقبل أجمل ، و أفضل من الحاضر ، و حتى تتذكر الأجيال القادمة من قام بالتمهيد لإقامة هذا المشروع الهام (مشروع المحافظة على التراث و البيئة) .

مع الخطوات الأخيرة من هذه الدراسة رأينا أن نضع دراسة معمارية تاريخية لبناء أقيم في منطقة سلمية في أوائل القرن الماضي ، و بقي محافظاً على حاله حتى امتدت إليه يد التخريب فعانت فيه فساداً و نزعت عنه أبوابه و شبابيكه و سقفه ، مع إنه لا يعد ملكاً شخصياً بل هو يعتبر من الأماكن الأثرية التي كتبت تاريخ سلمية و دونته و لكن المفسدين قلة و إن تمكنوا من التخريب لكنهم لن يتمكنوا من نزع هذا الأثر من ذاكرة منطقة سلمية .

قصر ميرزا :

سمي بقصر " ميرزا " لأنه بني على الأرض الخاصة لصاحبها (ميرزا بن مصطفى تامر) وسمي قصر الشيخ بكور ، لأن الأرض كانت

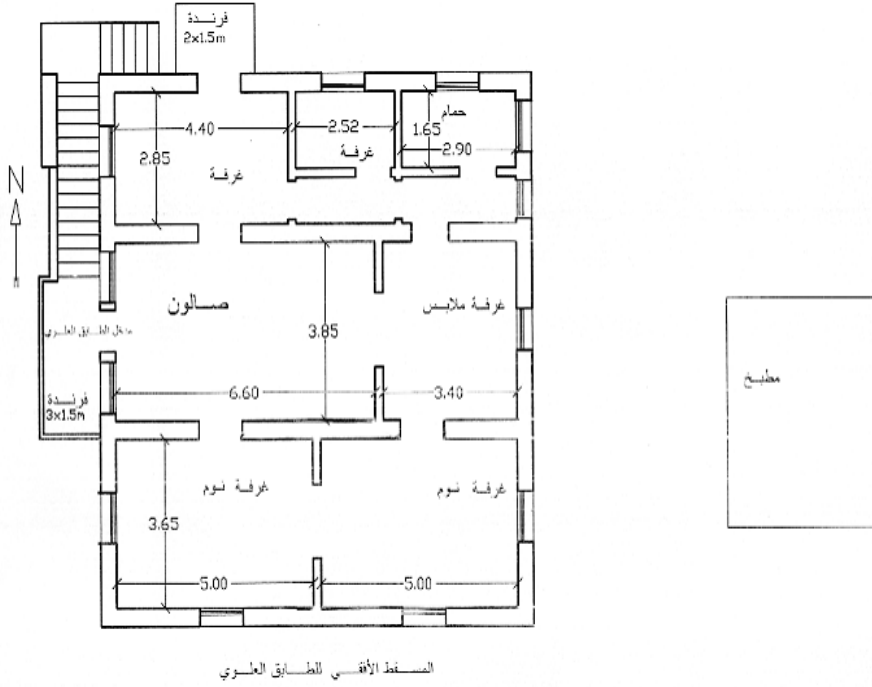
في عهدة شيخ يدعى بكور . و تقع الأرض شرقي قرية تلدره ، و تبعد عن مدينة سلمية مسافة عشرة كلم .

قام بتصميم المبنى (المهندس / وجيه نورية) و هو من مدينة حمص ، منطقة القصر كانت أشبه بغابة لكثافة الأشجار فيها ، و البناء يقع وسط ثلاثة أفنية مياه جارية ، و البناء مؤلف من طابقين ، الطابق الأرضي عبارة عن مستودع و مطبخ ، و سقف الطابق الأرضي محمول على جملونات متصالبة من الحجر البازلتي الأزرق ، و الطابق العلوي يتألف من غرف معدة للنوم و للاستقبال ، قام بتنفيذ البناء حسب المخططات المعمارية السيد (مصطفى قاسم) معلم العمار من قرية "تلدره" المجاورة للقصر ، نفذ أغلب العمل مجاناً (عمل طوعي) جلبت أحجاره من جبال العلا بواسطة عربات جر بالخيول قدمت للعمل من سلمية و قرية تلدره ، و تكاتف الأهالي على تحقيق السرعة بالتنفيذ (دامت أعمال البناء ستة أشهر) ، بدأت فكرة البناء عندما تأكدت زيارة الأمير (علي خان) الثانية لسلمية و ذلك عام ١٩٢٨م ، فتقرر بناء هذا المبنى ليكون مقراً مؤقتاً لإقامة ضيف سلمية ، و فعلاً أنجز قبل الزيارة و أقام فيه الأمير علي ، و استضاف هذا القصر جدة الأمير علي في زيارتها لسلمية ، و حل فيه عدد كبير من الوفود التي كانت تزور سلمية مثل (الكونت قاسم لاكا ، و السيد حميد خان) و غيرهم ،

كما أقام فيه سمو الإمام كريم شاه في زيارته الأولى لسلمية نهاية
خمسينات القرن الماضي ، و بقي محافظاً على وضعه حتى أوائل
سبعينات القرن الماضي حيث أهمل و تعرض للنهب و التخریب .



أطلال (قصر ميرزا) كما تبدو بعد التخریب (سلمية) .



مساحة المبنى صغيرة لا تتلاءم مع تسميته بالقصر ، و هو عبارة عن طابقين ، الأرضي لا توجد جدران داخلية فيه ، و العلوي يتألف من قسم للنوم و آخر للاستقبال ، ارتفاع الطابق الأرضي ٤م و العلوي ٣,٥م الشبائيك طولانية مساحتها (٢,٩x١,١ م) ، و الأبواب عالية مقاسها (٢٩٠x٩٥سم) و (٢,٩x١,٦م) ، سماكة الجدران ٤٠سم ، و فيه بعض الجدران الداخلية (الحمام) سماكتها ٢٠سم ، الشرفات من البيتون المسلح محمولة على مقاطع T (١٥سم) من الحديد ، المطبخ خارج المبنى ،الدرج الواصل للطابق العلوي عرضه ١٠٦سم و عدد الدرجات الباقية ستة عشر درجة .

الخاتمة :

في ختام بحثنا نرى أنه علينا واجب تذكر أصحاب العقول المنتجة للعمارة ، الذين ساهموا في بناء و تطوير مادة العمارة و ماتحتويه من فنون و علوم ترقى إلى مستوى ثقافي و حضاري مهم ، إن المهندس المعماري نادر ذكره في تاريخنا العربي و إذا وجد له ذكر على الأغلب يكون بسبب مهنة أخرى ، أو إنجاز علمي آخر غير العمارة ، كأن يكون عالماً أو فلكياً أو فيلسوفاً ، فعندها تذكر مناقبه و من ضمنها نعرف أن هذا الإنسان كان له باع طويل في عالم الهندسة و العمارة ،أما في البلاد الأخرى فنجد أن مهنة الهندسة مهنة محترمة و لها مكانة رفيعة ، و المهندس المصمم لأي صرح معماري يذكر ، وينقش و يسجل أسمه على الصرح حتى يبقى أسم المهندس مقترن بما أبدعه و عمله ، لا يزول الأسم حتى يزول المبنى الذي صنعه ، و لقد وصلت لنا أسماء مهندسين معماريين من سورية ساهموا بقدر كبير في بناء عمارة أوروبية راقية و جميلة ، دامت لمئات السنين ، و لا تزال بقاياها ماثلة أمام أعين الناظرين حتى اليوم .

كانت العمارة إلى وقت قريب مخصصة للرجال فقط دون النساء ، و لم تصلنا أية أخبار تذكر أن هناك مهندسة قامت ببناء أو تصميم أو تنفيذ أي مشروع معماري كان ، و لم تدخل المرأة هذا الميدان إلا بعد افتتاح الأكاديميات العلمية ، و مراكز التأهيل المعمارية ، حيث تخرج منها العديد من المهندسات المعماريات و الإنشائيات ، مع غيرهن من المهندسين

المعماريين و المدنيين و لقد نزلوا سوية إلى ميدان العمارة يعملون فيها جنباً إلى جنب .

ما المقصود بالمهندس ؟ ، و من هو المعمار ؟؟.

المهندس في اللغة العربية هو اختصاص مؤهل بدروس فنية عالية لوضع التصاميم ، و إعداد البحوث الفنية و التقنية و الدراسات المتعلقة بالأبنية المراد إشتادتها ، و هو مؤهل معرفياً لإدارة المشاريع و مراقبتها ، و هو الإنسان الموصوف بالكفاءة و القدرة على تصميم العمل و تنفيذه بأعلى المستويات الفنية ، و المعمار باللغة العربية هو مهندس يمارس مهنة العمارة ، و لديه دقة في هذه الممارسة ، و هو الذي يتصور المبنى قبل أن يبدأ برسم أول خطوطه ، و المعمار قديماً قد يكون رئيس الحرفين البنائين ، لعدم وجود جامعات أو أكاديميات تخرج ذوي كفاءة علمية عالية و مرموقة .

إن أول جهة تعليمية للعمارة في البلاد العربية أسست في مصر أيام محمد علي باشا عام ١٨١٦م ، و سميت " مهندسخانة " ثم فتحت كلية عمارة في الجامعة الأميركية في بيروت ، تبعتها أخرى في جامعة القديس "يوسف" في بيروت أيضاً عام ١٨٧٥م ، ثم تعددت الجامعات في البلاد العربية التي خصصت أقساماً لديها لدراسة العمارة و تخريج المهندسين المعماريين و المهندسين المدنيين ، و بدأت تظهر الكليات المتخصصة بالتصميم المعماري ، و أخرى بدراسة المواد الأولية "هندسة مدنية" ، و أصبحت اليوم فروع الهندسة أكثر من عشرة فروع تتضمن (

العمارة ، إنشائي ، بيئة، سكك حديد ، جسور ، مياه ، تحليل ، كمبيوتر ، كهرباء " عدة أقسام " و ميكانيك " عدة أقسام ...) و في سورية العديد من كليات العمارة و الهندسة المدنية (في أغلب الجامعات السورية) بدأت العمارة كقسم في كلية الفنون الجميلة في دمشق ثم انفصلت ضمن كلية واحدة و بعدها انتشرت في الجامعات السورية ، و صارت هذه الجامعات ترفد ميدان العمل المعماري كل عام بعدد كبير من المؤهلين بتقنيات عالية و قديرة ، و هؤلاء الذين ساهموا و يساهمون في إضافة لمساتهم الخاصة على المشاريع المعمارية في سورية ، و في سلمية و حتى منتصف الستينات من القرن الماضي لم يكن هناك مهندسون معماريون مؤهلين علمياً يعملون في سلمية ، و أول الخريجين المعروفين كما ذكرنا (شاهين عطفة و حسن عيشة) و منذ بداية السبعينات تخرج من الجامعات السورية و من خارج سورية أعداداً كبيرة من المهندسين المعماريين و المدنيين و الكهربائيين و الميكانيكيين ، و اليوم صار من الصعب إحصاء المهندسين في الوظائف الرسمية أو في الأعمال الحرة داخل سورية أو الذين سافروا ليعملوا خارج سورية ، و لا شك بأن هؤلاء المهندسين و المهندسات مارسوا أعمالهم و كونوا خبرات فنية علمية جيدة و جدرة بالاحترام ، و يمكننا القول إن تكوين المعماري المثقف (رجل أو امرأة) يلزمه في كل لحظة جديدة من حياته تطوير معلوماته حسب ما هو مكتشف ، (و عليه عدم الاكتفاء بما تعلمه في الجامعة) لأن التطور التقني العلمي و المعرفي الذي نعيشه سريع جداً، و لا يمكن التهاون باللاحاق بركب المعرفة هذا ، و يوماً هناك شيء جديد في عالم العلم و

المعرفة و منها العمارة و ما يتعلق بها ، و على المعماري عدم نسيان تاريخه و تراثه المعماري و ما يحتويه من كنوز معرفية يستطيع دارس التراث أن يأخذ من علومه الكثير مما يفيد الحاضر و عمارته المتطورة ، فيضفي عليها جمالاً بالمفردات و بالشكل و المضمون ، و عليه أن يبتعد عن الشعور بأن المعرفة لديه مكتملة ، لأن العلم لا نهاية له ، و سيبقى المرء بحاجة إلى تعليم طالما لديه نفس و نبض في جسده .

المهندس السوري (أبوللو دور الدمشقي) :

ولد عام ٦٠ م على ضفاف نهر بردى ذي المياه الغزيرة الرقراقية النقية العذبة ، عاصر الذروة الحضارية التي وصلت إليها روما ، و كان أحد (بل أهم) أعمدتها ، إنه بلا شك أسطورة معمارية قلبت الموازين الفنية للعمارة الأوروبية ، أسمه سرياني " أبوللو " و معناه الإله ، و " دور " معناه " الهبة " و هكذا يكون أسمه يعني (هبة الله) ، دعاه صديقه القديم الإمبراطور " تراجان " ليمجد انتصاراته عن طريق البنيان ، فبنى للإمبراطورية الرومانية أرقى ما تفخر به على طول الزمان من عمارة و بنيان ، و كان (أبوللو دور) على قدر المسؤولية التي منحها له الإمبراطور " تراجان " الذي حكم بين (١٠٧ - ١١٧ م) و لقد أثبت مقدرة فائقة و ظهرت موهبته كمعماري و مهندس إنشاءات ، و كفنان و نحاس على درجة عالية من الموهبة و الحذاقة جسدها في عدد كبير من المباني و النصب في أماكن متفرقة من الإمبراطورية ، و قد توج أعماله هذه بعمارة جسر ضخم و شهير أشاده فوق نهر الدانوب ، عند منطقة "

دروبيتا" بين عام ١٠٢ م و عام ١٠٥م بغرض تهيئته لعبور الجيش الروماني عليه بقصد محاربة شعب بدائي يقيم شمال نهر الدانوب في منطقة رومانيا اليوم ، و هذا الجسر باقٍ حتى اليوم و هو يصل بين ضفتي النهر البالغ بعدها ١٣٥م ، و يحمل الجسر ثلاثين عموداً مبنية من الحجر على شكل مقدمة زورق باتجاه معاكس لتيار الماء القوي جداً في منطقة بناء الجسر ، و الأعمدة مفرغة من الداخل ، و مملوءة بمواد أعتاد الرومان على استخدامها و هي مؤلفة من (خلطة مشكلة من الماء و الرمل و الحصى و الكلس المطفأ و الصلصال) و هذه الخلطة تقاوم عمليات الضغط بكفاءة عالية ، و هي تقوم بعمليات الشد بكفاءة أقل ، و قد بنيت القناطر فوق الأعمدة المرتفعة من الخشب بطريقة متراكبة و متشابكة و متداخلة (تعشيق) بحيث تؤدي مهام مقاومة عمليات الشد الناتجة عن تحميل الجسر ، لقد كان هذا الصرح الضخم أشهر من أي إبداع قام به الدمشقي بالرغم من الكم الهائل من المعالم التي أشادها لتزين جبهة روما و كبريائها أيام الإمبراطور " تراجان" ، الذي أراد من " أبوللو دور" و انتاجه تحدي من سبقه من الأباطرة العظام .

و يوم أشاد عمود " تراجان" المشهور و ما حوله من أبنية فيها من الحذقة البصرية الشيء الكثير ، أدخل للعمارة و تراثها عناصر و لمسات فنية جديدة ، و ملفتة للنظر لما فيها من الجودة و الفن و العراقة ، و هذا العمود عبارة عن نصب ضخم منحوت عليه أسم الإمبراطور " تراجان" و أهم إنجازاته العسكرية ، و هو يشبه المسلات المصرية القديمة بارتفاعها

و رشاقتها ، و يعتبر "مع ماهو مشاد حوله من بنيان" أعجوبة معمارية (محكمة أولبيا، مكتبتين متناظرتين تعطيان موازنة بصرية تغلق الفضاء المفتوح ، و معبد في الطرف الشمالي ، و تمثال كبير للإمبراطور و هو يمتطي حصانه و يقف في الجهة المقابلة للمعبد، و تنسيق الشوارع المؤدية لكل الوحدات المعمارية) ، لقد اتحف الدمشقي روما بأجمل العماائر ذات الوظيفة العمومية التي إختالت بها أيام زهوها ، مثلما هو الحال في الجمنازيوم ، و الأوديونوم ، و حمامات تراجان ، و الكثير من العماائر التذكارية و أقواس النصر الجميلة و التي تمتعت بالفخامة و الرشاقة، و جمال النسب المعمارية ،و أضاف الكثير للعمارة من فنون الزخرفة و النحت و الكتابات الخطية بشكل متناسق الأجزاء و التفاصيل ، و بعد موت تراجان خلفه ولده " أدريان" (و أدريان هو ابن تراجان بالتبني) ، زاد اهتمام الإمبراطور الجديد بالعمارة ، و أراد بناء و تغطية " البانثيون " في روما عام ١١٧م ، فطلب من أبوللو تصميم و بناء القبة فيه ، و لما كان الدمشقي حراً في تفكيره و لا يقبل التزلف أو اتباع أهواء أحد ، و هو السليط اللسان لا يسمح لأحد بالتدخل في عمله مهما كان ، و تصور الإمبراطور أنه قادر على التأثير على إبداع الدمشقي ، فتولى بنفسه تصميم معبد فيزوس ، دون إستشارة الدمشقي ، و لما سألته الرأي في هذا التصميم ، وجه بعض النقد إلى ذلك التصميم فغضب منه الإمبراطور و تراكم الحقد على الدمشقي في قلب الإمبراطور حيث قام أخيراً بقتله عام ١٢٥م و هو في الخامسة و الستين من عمره ، و ترك الدمشقي كتاباً كان قد خطه عن العمارة الدفاعية ، و أهداه إلى "أدريان" و

عنوانه (أطروحة فيما يخص آلة الحروب) رسم في هذا الكتاب كل خبرته و وضع فيه صفوة علمه ، و بموت الدمشقي طويت صفحة جميلة من رفد الحضارة الغربية بالحضارات السورية و عمارتها و لا تزال بقاياها ثابتة و راسخة تثير الاعجاب و الإحترام حتى اليوم .

المعماري المسلم " سنان " :

آخر عمالقة فن العمارة الإسلامية إنه المعماري الشهير " سنان " نذكره هنا باعتباره مهندساً مسلماً أضاف للعمارة الإسلامية الكثير من لمساته الفنية الراقية و التي تشتهر بالسهولة و التنوع و الرشاقة المعمارية في التصميم و التنفيذ . ولد " سنان " عام ١٤٨٩م في قرية "أجربناس" قرب " قيصرية" ، و قد أخذ عنوة إلى الإنكشارية عام ١٥١٢م ، و بعد انتهاء مدة تعليمه العسكري ساهم في حملة " سليم الأول" على بلاد فارس و الشام و العراق و مصر ، حظي بتقدير السلطان بعد إنشاءه جسراً فوق نهر " روت" في خلال ثلاثة عشر يوماً في "ملافا" ، ثم أقام جسراً فوق نهر الدانوب ، و تم اختياره ليكون كبيراً للمهندسين حين بلوغه الخمسين من عمره ، بعد أن شيد ٣٦٤ بناء على الأراضي الخاضعة للدولة العثمانية في وقت قصير ، و كان " سنان" أستاذاً كبيراً في تنسيق المساحات ، و عبقرياً في تصميم القباب المركزية ، و من أعماله (المجمع الخصكي) الذي بناه لحرم السلطان في إستانبول و أكمل بناءه عام ١٥٣٩م ، و قد ظهرت أهم مراحل نشاط " سنان" المعماري من خلال ثلاثة آثار عظيمة هي (مسجد شهرزاده ، و مسجد السلمانية في

استانبول ، و مسجد السليمية بأدرنه) هذا المسجد أبدعه و هو في الثمانين من عمره ، و هو يمثل رائعته المعمارية التي استغرق بناؤها خمس سنوات من عام ١٥٦٩ إلى عام ١٥٧٤م ، و للمسجد قبة كبيرة ذات قطر يبلغ ٥٣م أي أن هذه القبة أكبر من قبة " آية صوفيا " ، و لقد ساعده في تنفيذ هذا المشروع المهم المهندس (داوود أغا) تلميذه النجيب و المهندس (أحمد أغا) ، و في سورية الكثير من المعالم المعمارية التي صممها و نفذها المعماري " سنان " (مسجد الخسروية في حلب عام ١٥٣٧م ، و هو من أجمل أعماله الخالدة ، و كذلك هو مصمم (التكية السليمانية في دمشق) و نفذ أعمالها و أشرف على البناء فيها المهندس الدمشقي " العطار " ، فكانت من أجمل و أحسن التكيات العثمانية قاطبة .

لقد كان المعماري " سنان " و لأخر يوم من حياته ، نشيطاً بعمله ، قادراً على الإبداع .

المهندس العربي (حسن فتحي) :

نال المهندس " حسن فتحي " شهرة واسعة في عالم العمارة و إبداعاتها ، مثل سابقه من أعمدة العمارة الكونية أمثال " أبوللو دور ، و سنان " لأنه حارب طيلة حياته المهنية في سبيل تحسين نمط عمارة الفقراء ، و كان صلباً مدافعاً عن أفكاره التي كلفته أغلب موارده المالية التي نالها من بناء القصور و الفلل للأثرياء و الملوك و السلاطين ، و لقد قدم حلولاً

عملية لمشاكل الاسكان في الوطن العربي ، تلك الحلول التي تقوم على معادلة دقيقة بين الأصالة و المعاصرة ، و هو الذي نادى بعمارة ترتبط بالبيئة و الواقع ، و تعبر عن شخصية و حاجة ساكنها ، و لهذا كله نتذكر هذا العملاق الكبير، و نستعرض قليلاً من أعماله العديدة ، و نمر سريعاً على مسيرة حياته لعلنا نأخذ من تجربته معانٍ و حكم تنير لنا عالمنا المعرفي ، و تساعدنا في تهيئة عمارة ريفية رائدة يكون همها الأول الحفاظ على الإنسان و بيئته ، و على شخصية هذا الإنسان و كرامته ، و من أهم الشعارات التي طرحها خلال مسيرته المهنية قوله: " إنه لا توجد مهنة في معزل عن المجتمع ، و العمارة مهنة ممزوجة بالسياسة و التاريخ و الفن . هو صاحب نظرية متكاملة أخذ يدعو إليها خلال نصف قرن ، و توحد مع قضيته و أصبح رمزاً لها ، و نال لأجل مواقفه و أعماله التقدير و التكريم في المحافل المعمارية الدولية و لم يواجه سوى الصعوبات من بني قومه ، و قصة حياته ملحمة نضالية مستمرة .

ولد " حسن فتحي" عام ١٩٠٠م في نفس العام الذي استخدم فيه البيتون المسلح لأول مرة ، درس العمارة في مدرسة " المهندسخانة" في القاهرة ، و بعد تخرجه منها توظف مهندساً لدى الدولة ، و كان أول من نبه إلى قيمة و عمق التراث المعماري العربي ، ثم عمل أستاذاً للعمارة في كلية الفنون الجميلة ، فتربى على يديه جيل من المعماريين الذين عشقوا العمارة التقليدية القديمة ، و كرس حياته لبناء قرية عصرية على أسس البناء القديم ، ففي مشاهداته اليومية في الريف المصري (الذي يحاكي

المناطق الريفية في كل الوطن العربي) تعرف إلى تعاسة القرية العربية و شقائها، اكتشف أن أفضل مهندس هو الفلاح ذاته ، و أخذ يبحث في ضوء العلم الحديث كيف يبني قرى أفضل ؟ ، ثم كيف يصل إلى معمار أكثر أصالة ، و العمارة عنده موسيقى جامدة تتكون من إيقاعات و أنغام ، و يدرك أن كل الفنون لا بد لها أن ترتبط بالبيئة و اقتصادها ، واجه الإحباط في الكثير من مشاريعه ، و أثارت قرية " القرنة " التي صممها جدلاً لم يتوقف ، نالت الإعجاب رغم فشل تنفيذها الذي يعود إلى تحالف غير مقدس بين حراس الآثار المصرية و مهربيها ، فبعد أن كانت القرية أيام الفراعنة " مقابر مدينة طيبة في الأقصر " و اكتشف الأهالي أن تحت بيوتهم كنوزاً فرعونية ، التفتوا إلى التنقيب عن هذه الكنوز و بيع ما يجدونه منها ، و لهذا قررت مصلحة الآثار بناء قرية جديدة بعيداً عن الموقع القديم الذي بدأ فيه " حسن فتحي " بناء القرية ، و مع رفض الأهالي العودة إلى القرية و صدور قرار الدولة طويت صفحة هذا المشروع المهم الذي نال إعجاب الدنيا ، و أصبح النظام الذي ابتكره " حسن فتحي " في التصميم و التنفيذ أحد أهم عناصر العمارة الريفية في العالم ، ألف كتاب " العمارة للفقراء " الذي لقي نجاحاً كبيراً ، و قد صدر باللغة الانكليزية ، قالت عنه منظمة اليونسكو : إنه أحسن مهندس للبيئة في العالم ، و قامت بعمل فيلم وثائقي عنه و عن أعماله المعمارية ، عاش آخر أيامه في " درب اللبانة العتيق " في حي القلعة بالقاهرة ساكناً بيتاً مبنياً على الطراز المملوكي القديم ، هذا البيت يقوم على روية يلتقي عندها جبل المقطم و قلعة " صلاح الدين " ، عاش وحيداً بلا زوجة و لا

أبناء ، أمضى معظم وقته إلى جانب تلامذته و محبيه ، و رحل عام ١٩٨٩م مخلفاً وراءه ثروة فنية رائعة من الرسومات و التصميمات البديعة التي تنتظر من يزيح عنها غبار النسيان و الإهمال .

من أقواله المعروفة : (على أرضنا بدأت العمارة و فيها أصبحت فناً مقدساً ، و البناء إبداع ييئه المعماري كل روحه و يمجده به الحياة و قدرة الإنسان ، فقدت عمارتنا كل إبداعها عندما أحضر الأغنياء العمارة الأوروبية إلى مصر ، و ضاعت هذه العمارة و ضاعت أصالتها و طابعها الخاص المميز عندما قلد الفلاحون الأغنياء بعمارتهم تقليداً ممسوخاً ، أرسوا قواعده في الريف و كانت هذه الظاهرة من أخطر الظواهر بعد أن احتضن الريف طويلاً الطابع الخاص ، فالريف هو أصل العمارة الأصيلة و من قلب ترابه خرجت ، و منه انتشرت و اشتهرت ، و نحن نشجع اليوم صيحات الأصالة و البحث عن الهوية و التي تنطلق من عقول مهندسين شباب غايتهم إظهار مخزوننا المعماري القديم كحقيقة ثابتة في عالم العمارة ، عمارة الأمس و اليوم و غداً ، و علينا أن نكون واضحين بأن هناك صراعاً بين القديم و الحديث ، بين الأصالة و المعاصرة و كيفية التوفيق بين العمارتين ، و أنا لا أعترض على العمارة الأوروبية ، بل إنني أراها تناسب أهلها و لكنها لا تناسبنا ، و هناك متبادلات ثقافية بين الحضارات المختلفة علينا أن نراعيها و لا ننساها ، و لا يمكن أن نأخذ عمارة شرقية و نزرعها في الغرب كما لا يمكننا نزع عمارة الغرب و نزرعها في الشرق ، و ما زالت العمارة العربية هي

الأساس ، و العمارة الريفية هي النبع الذي روى العمارة العربية القديمة ،
و العمارة العربية هي الحل ، بل هي الحل الأمثل لنا و لمستقبل أولادنا ،
أما إذا ثبت أن هناك في هذه العمارة ما هو ضار فيجب إلغاؤه ، إننا إذا
أقمنا القرية التي تحقق للفلاح ذاته و تسكن فيها روحه ، فأنا نحرر كل
قدراته على الإنتاج و الإبداع ، و سوف يفيض سيل من الفن الذي يبدعه
روح فنان وجد ذاته) .

و المهندس/ فتحي كان ما يميزه الصدق مع البيئة دون إنحراف
، و إدراكه لأثر الثقافة و الفنون و التقاليد و الوضع الاقتصادي ، و
استطاع بفكره الثاقب أن يتجاوز عالماً يهيمن عليه الغرب و حضارته
الحديثة بحلها و مرها .

و أخيراً و في ختام جولتنا في عالم العمارة الجميل نجدد دعوتنا
لعمارة نظيفة ، صديقة للبيئة و محسنة لها ، عمارة يستطيع كل فقير و
محتاج أن يشيدها ، و يتكلم لغتها و يحافظ من خلالها على تراثه الغني
الجيد و الوفير بعمارة أثارت الدهشة من روعتها ، عمارة تجعلنا نشعر
بأننا عدنا إلى موطننا و عاداته و تقاليده ، عمارة تحرك في نفوسنا حب
التعاون فيما بيننا ، و عمارة تساهم في نظافة بيئتنا من تلك الكتل
البيتونية المصمتة و العالية ، عمارة تغذي بالحرية و تدفعنا للتطور و
الرقى ، هذا هو حلمنا اليوم ، نأمل أن يتحقق يوماً ، و نرغب برؤية
الخطوة الأولى خلال وقت قريب ، ندخل من خلال هذه الخطوة إلى عالم
النظافة و الأناقة و التقدم ، و لتكون عمارتنا صورة جميلة يتمناها كل من

يراها و يصر على نقلها إلى بلده ، و ليغمرنا الشعور بالفخر لانتمائنا لهذا
الوطن الجميل

غالب المير غالب

المراجع و المصادر:

- ١-الفنون الزخرفية الإسلامية د/ محمد عبد العزيز مرزوق
- ٢-تاريخ مدينة دمشق خلال الحكم الفاطمي د/محمد محاسنة
- ٣-العمارة العربية د/ فريد الشافعي
- ٤- الفن الإسلامي (دافيد تالبوت) ترجمة/ منير الأصبحي
- ٥-الفنون القديمة د/ عفيف بهنسي
- ٦-اييلا (باللغة الإنكليزية) د/ عفيف بهنسي

- ٧-قرى الطين م / آزاد أحمد علي
- ٨-الحمامات الدمشقية منير كيال
- ٩-القلاع أيام الحروب الصليبية ولغانغ مولر
- ١٠-العمارة العربية الإسلامية عبد القادر الريحاوي
- ١١-قلعة دمشق عبد القادر الريحاوي
- ١٢-أسس العمارة الإسلامية رياض الحفاف
- ١٣-جولة أثرية وصفي ذكريا
- ١٤-تاريخ الدعوة الإسماعيلية مصطفى غالب
- ١٥- غدير المعرفة غالب المير غالب
- ١٦-دائرة المعارف الإسلامية مجموعة من المؤلفين
- ١٧-البداية و النهاية ابن كثير
- ١٨- الخرسانة المسلحة سيجالوف ، ستروتجين

مُتْرِبَاتِ الْكِتَابِ:

- : إهداء ص ٦
- : المقدمة ص ٧
- : هندسة العمارة ص ٢٠
- : ما هي العناصر التي اقتبستها العمارة الإسلامية ص ٣٨
- : العمارة الإسلامية ص ٣٤
- : أنواع العمارة الإسلامية ص ٤٣
- : عناصر العمارة الإسلامية ص ٤٥

- :البيت السكنيص٥٩
- :البيت الريفي.....ص٦١
- :جغرافية مدينة سلميةص٦٥
- :العمارة السكنية في منطقة سلميةص٦٧
- :تطور عناصر المبنى في سلميةص٨٧
- : أهمية دخول البيوت المسلح للعمارة في سلميةص١٢٧
- :مراحل تطور البيت السكني في سلميةص١٣٣
- : مميزات البيت الريفيص١٥٠
- :قصر ميرزاص١٥٤
- :الخاتمة.....ص ١٥٧
- :المراجع و المصادرص١٧٠